الصباح الثقافي

رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين

ملحق اسبوعي 16 صفحة www.alsabaah.iq

الأربعاء 18 تشرين الأول 2023 العدد 5795 Wed. 18 . Oct. 2023 Issue No. 5795

02 غزّة.. مَن يُحيطها بذراعيه ويتمتم بالنّار؟

04 فكرةٌ أخرى عن الموتِ والحياة

05 سيرة من داخل الزنازين

06 المفارقة وجماليَّة التجديد الروائيّ الفلسطيني

09 خطاب رب الجنود قبل الخروج الكبير

10 خالد الحوراني.. حكاياتٌ عن الفنِّ الفلسطيني

ch.editor@alsabaah.iq

لوحة الغلاف للفنان الفلسطيني بشار الحروب

غزّة.. مَن يُحيطها بذراعيه ويتمتم بالنّار؟

المتوكل طه

يمشي..

عباءته المتجعّدة فضفاضة شفيفة. يندفع نحو البيوت المقصوفه، فيردّ الأكمام على كتفيه، ويرفع الركام، ويسحب المخبوزين تحت البنايات المترنّحة.

يحمل ساطوراً هائلاً، ويقف على مداخل المدينة، كأنَّه حارسها.

هو الذي فخت الجدران الاسمنتية بإصبعه، وحمل المقاتلين، الشهداء مع وقف التنفيذ، ليعيدوا الأرض إلى أصحابها، ويُثخنوا في ضبّاط الموت الموت. وهو الذي قاد بهم المركبات، مع الفجر، ليطوّحوا الأبراج الناريةَ المنصوبة نحو الحدود الخائفة. وهو الذي كَنس بجديلته ما تبقّى من جنود على المداخل، حتى تتحقق المعجزة التي فاجأت المحتلّين المذعورين، الذين انساقوا بهلعٍ وذلّة، نحو القيود.

يذرع المخيمات والبلدات، ويُلقي السلام على الناس.

يقف على صخرة راسخة، ويقول: إنَّ القتلة يستهدفون الأطفال والنساء والأسواق البريئة! فهل هؤلاء بشرٌ؟ أم أنّ أسفارهم الملغومة هي مَن يمدّهم بالذرائع لحرق اللحم الطريّ والطيور والرّضّع والزغب اللبنيّ؟ فكيف يقيمون معهم "السلام"، الذي لا يُفضي إلا إلى الهلاك والعنصريَّة والجنون والإبادة والفظائع المصوّحة؟ ماذا بقي فيهم ليحبّوا السلام، ونؤمن أنهم من نسل آدم؟

لقد رأوه، لكنّهم لا يعرفون اسمه، على وجه التحديد، لكنّ البسطاء يعرفون، ببداهة البصيرة المضيئة، أنّ هذا الشيخ يدرك نِفاق الغرب، الذي يبرّر فناءنا وشطبنا من قوائم الحياة! فيسألونه: هل انتهت الحروب الصليبيَّة يا شيخ، أم أنَّ كيان القتل هو ما يُمثّل المملكة اللاتينيَّة الأخيرة على شواطئنا؟ ولهذا يدعمونها.. على حساب دمنا النظيف!

وبعد كل مئة جنازة جماعيَّة، يسمعونه يقول لرجل يهرول نحو المقابر: كيف لبعض "اخوتنا" أنْ يُعانقوا هؤلاء الوحوش؟ ويفتحوا عواصمهم لأصواته المُنكَرة؟ ويصطّفّون معه، بتصريحاتهم المهزومة أو صمتهم الحقير، في إطلاق النار على الصغار ونوافذ الحبق؟

وبعد القصف، الذي يتجدد كل دقيقة، يقفُ متكئاً على عمارة، لم تصلها القذائف بعد، ويعدّ على أصابعه القنابل التي سقطت، والشهداء.. فيتلعثم، ويعاود الكرّة، لكنه يتوقّف، فقد تجاوز الشهداء الأرقام!..

نَظرَ الشيخُ في كأسِ النار؛ ثمة مَنْ يبتسم في قَعْرها، قال! والأوارُ يلمع على شفتيه؛ سيولدُ هنا، بعد الحطام والشظايا، وسيكون له عَرْشٌ ساحر، وستصل عرباتُه إلى أفاعي السواحل المُهاجرة.

في حضوره تتفوّقون على أنفسكم، وإنْ نظر إليكم ستتمّ المعجزة، وسيضحك لكم الزمان!

ستكون خيولُه بلا عدد؛ جلودُها ماءٌ، وأجنحتُها غامضة، وستبدو أشجارُه ترياقاً للقلوب.

لقد حملته في أحشائها لينتقمَ لها، لكنّه تجاوز الرمادَ، وتمرّس بالمعرفة والجموح، حتى دقّ عُنقَ الخرافة.

- لا مجد بلا معاناة - ..

وبكى الشيخُ حتى ابتلّت لحيته! ثم صرخ: النصر العظيم!.. انتظروه ..

إنَّ أُمَّهُ تصرخُ من آلام المخاض. سيتناول أعداؤه العَشاءَ في الجحيم، ولن تكون شمسٌ في السماء، سيكون شمسَ الأرضين. سيُغطّي الأرضَ بدمهم، ويتبعهم إلى آخر الحشرجات. ستعلو صواريه، وينزل بالغيث حيثما يشاء، وسيفقأ عينَ البولاد والبوارج. ستشكره البواشق، ويمحو عُرفَ الديك الزائل، وتتلاشى صور أعدائه كالهواء. ستحترق الأبواق، ويذوب المعدن من الصراخ.

ستفيض الوديان والحُفر والأخاديد بالعفونة، والديدان وثياب الحديد، إلى أنْ تتجشّأَ الفراخ، ثم تدبَّ النار والطهارة، وتمطرَ غيومُ الصيف، سبعة أيامٍ بلياليها.

ربما لم تلده أُمّه، بل خرج من مرْجَل العويل والقهر.

سيجفّ على قميصه النُعمان، ويتقشّر فوق دفقات العَرقِ تحت الظهيرة.

سيدخل المدينةَ العصّية، كما دخلوا مدائن الأساطير.

سيلاعب السَبْعَ في الكمان.

سيحمل إليه أبناءُ التّيه صناديقَهم، ويفرحون بالعفو.

سيعضّ قلبَه عطرُ الزهرة ذات الخُصلاتِ الفاحمة.

وهو ليس هشّاً ولا نبيّاً، لكنه ينسى، كعادة البشر، أن ثمةَ خَوَنةً في البيت.

سيصل إلى المجهول والبعيد، ويتحدّث عنه التائهون في الأصقاع، وينسجون حوله الهالاتِ الني يريدونها.

سترقص له الغزلانُ في الغيوم، ويعذّبه بطنُ الجدول، ويحلم بحليب الياسمين.

سينثرون الأرزَ لياقةً تحت أسواره، ويشرق بالحِبْر الأبيض، وتسبح على جدرانه الغاباتُ والأحلام.

وحينما يبلغ القمةَ سيرى وُعورةً لا تبلغها أو تقطعها إلاّ

الصباح الثقافي
هيأة التحرير
مدير التحرير
نزار عبد الستار
سكرتير التحرير
وسام عبد الواحد
رئيس القسم الفني
مصطفى الربيعي
الاعلانات:
ads@alsabaah.iq
موبايل:
07809174852
العلاقات العامة
موبايل: 07809174853
pr@alsabaah.iq
info@alsabaah.iq
التوزيع والاشتراكات:
موبايل: 07809210536
dist.imn@alsabaah.iq
مطابع شبكة الإعلام العراقي
IMN PRESS

الآلهة، فيضطر أنْ يسلك طريقَ البحر والمواقد .
سيرتجف ويقشعرّ، هذا القوي العنيد، ولن ينحني، لأنه بعيدٌ عن العار وشهوة الخشب. ولن يتعجرف كالمُهر الأزغن.
لن يخذله جسده، ولن تتجرأ عليه الأيام، وسيبقى عابداً زاهداً بسيطاً.. وباسلاً إلى أنْ يشيبَ الأحفاد، ويحملوا خارطةَ الروح.
ولأنَّ الافتراء ضعفٌ، والرؤيا بشرى، فلا بأس أنْ تضحكوا أيّها المتوحّشون، لأنكم لن تجدوا حتى الدمع، بعد حين .
ويبدو أنَّ فذاذته تكمن في أنَّهُ أنقذنا من أنفسنا .
إنه مكافح سماوي، وإنني أراه؛ في فرط الرُّمّان، وعلى سواحل الماكرات اللّيّنة، وفي ريق السراج، وفي كأس النار.
وصرخ الشيخ: إنني أراه.. إنني أراه !
ماذا ترى يا شيخ ؟
قال: إنها بداية النهاية، إنها نهاية البداية.
فاستعدوا يا قوم!
ثمّ يواصل السير إلى الشمال، وإلى الجنوب، كأنه يتفقّد الأحوال.. ولطالما رأوه يسحّ من عينيه دموعاً حمراء، يجمعها في كفيه، ويدلحها على الحقول الظمأى.
فمه مالح، وعيناه زرقاوان داكنتان، وشعره يضفضف بالفضّة، ويكاد طوله يغطّي الآفاق.
قال له صاحب دكان: أنا أعرفك يا شيخ..!
فابتسم، وقال أنا أعرف جدّ جدّ جدّك، كان يلعب معي على الشاطئ، وقد شهدتُ عُرس أبيه..
يحمل الجرحى والأشلاء المتناثرة في الأسواق، وإنْ كانوا مئة، على ساعديه، ويسارع بهم إلى المشفى.
يزيح أنقاض الأحياء، ويعيد فتح الطريق، ويرشّ الماء على التراب.
امتلأ ثوبه بقع الدم التي دبّغته، لكثرة الشظايا والقنابل التي أصابت جسده، حتى لا تصيب البيوت.
يرونه جالساً عند رؤوس الأطفال المقتولين، يبكي، وهو يمسّد رؤوسهم المفغورة.
يخطّ بإصبعه الأرض، فينشقُّ أخدود كبير طويل، لدفن الضحايا. ويبقى عند شواهدهم يتمتمُ بالنار والرذاذ.
هو شيخ من الماء، يسكن قرب البيوت على شاطئ غزة.
هو الذي ينسرب من تحت الأبواب، ليعود امرأه فقدت كلّ أبنائها.. يربط على قلبها بالنعناع، ويقبّل قدميها.
وهو الذي يُلقي بالركام بعيداً حتى يصل إلى لعبة القُطن، يحملها ليعيدها إلى تلك الطفلة المُنخنة الباكية.
ينتقي بإصبعيه قطع الحيطان المهدّمة، وما تقصّف من سقوف وجدران وشجر، وينعفها في السماء.. بعيداً، فتشهق بنثار الضوء.
وهو الذي أعاد المئذنة، التي شطروها، إلى حالها، ولبّدها بريقة لتظلّ واقفة.. كالمسلّة والنداء.
يعتلي حصانه الرّاعد، ويعرج به إلى السماوات، ليبكي على أبواب العَرْش لترحم غزّة.
وهو الذي حتّ بإظفره جدولاً لتجري المياه العادمة المتفجّرة.. إلى المَصَبّ البعيد، حتى لا تغرق الحقول والأحياء.
وهو الذي يتراكض كالغيوم في الليالي، يحمل الأكياس على كتفه.. يوزّعها على المذبوحين والمتحلّقين في العتمات.
يفتح شريانه ليتدفّق النعمان، لترتوي البيارات العطشى، وتنفجر أراضيها بالشقائق وأزرار العندم.
ويغسل، بعد كل قنبلة، الطرقات، فيبدو ما تبقى من البنايات والشوارع مصقولاً بالرقراق الشاحذ.
وأراه، يجلس القرفصاء، وجهه إلى الشرق، وقد غرز كفيه، مثل معولين في قاع الحدّ الجنوبي والحدّ الشمالي، ويحاول أن يحمل غزة من جذورها، ويحملها إلى شرفة في بيته العالي، ويضعها هناك، ويحيطها بذراعيه.
إنه البحر.

شاعر فلسطيني

من فلسطين وعنها وإليها

أحمد عبد الحسين

هذا العددُ من "الصباح الثقافيّ" من فلسطين وعنها وإليها.
منها: لأنَّ موادّه كلّها من الغلاف إلى الغلاف هي لفلسطينيين، فنانين وشعراء وكتّاب وباحثين.
وعنها: لأنَّ كلّ كلام ذي مغزى هذه الأيام هو عن فلسطين التي تتناوب عليها منذ الأزل بطولاتُ أهلها وفجائعُهم.
وإليها: لأنَّه بأكمله تلويحةُ حبٍ لأهلها وتضامن معهم، وإنْ لم تصل تلويحتنا إلى أطفال غزة فقد أخطأ سهمُنا مرماه.
وبعدُ، فإنَّ هذا العمل على بساطته نتاجُ خوفٍ. هو ثمرةُ خوفي الشخصيّ من تكرار دور المثقف العربيّ التقليديّ في الوقائع الكبرى؛ وهو دورٌ يتلخَّصُ بالذهول والعطالة والتسليم بحقيقة أنَّ الحدث أكبرُ من كلّ حديث، ثمّ الركون إلى هامشٍ قصيّ بانتظار واقعة أخرى أفدح.
كلُّ ردّة فعلٍ مهما كانت طائشة وبلا أملٍ هي أجدى من الصمت البليد. وكلّ حركةٍ نثبتُ فيها لأنفسنا .نحن معاشر المثقفين .أننا أحياء لم نزلْ، خيرٌ من وظيفة المراقب العارف الذي لكثرة ما يعرف تتفلّتُ منه القدرة على قول شيء، ذلك الذي أقنع نفسه أنَّه كالنفريّ اتسعتْ رؤيته فضاقت عبارته.
نريدُ العودة للفعل البدائيّ للكائن الحيّ، أنْ ينتفضَ جسده حين يُصعق، ويجفل حين يُخوَّفْ، ويندفع حين يغضب، ويصرخ حين يتألم. فهذه سماتُ الحيّ التي تخلّى عنها طواعيةً كثيرٌ من المثقفين العرب بدعوى أنَّها لا تجدي، لا تدفع ضرراً ولا تجلب نفعاً ولا تغيث ملهوفاً.
لا أحد ينتظر من المثقفين دوراً ملحمياً يقلبُ الرأيَ العامّ ويغيّر قناعات الناس، فهذا طورٌ من الأوهام اندرج في أرشيف ملفات الأحزاب الثوريّة ولم يعدْ أحدٌ يتصحفه ولو على سبيل الفضول.
الأجدى هنا السؤال عمّا ينتظره المثقفُ نفسَه من ثقافته، هل هي صالحة للدلالة على رهانات الحاضر وقول شيء فيها؟ هل أنّ عدّته الثقافيّة كافية لجعله حاضراً في المواعيد الضميريّة الأخلاقيّة الكبرى ؟
انتهى الزمن الذي كان المثقف يظنّ فيه أنَّه ضميرُ شعبه. كلّ ما بمستطاعه الآن أنْ يصبحَ تأنيباً لهذا الضمير. فإنْ نجحَ في ذلك فقد أفلح.
فتعالوا نؤنّبُ ضمائر الناس، لنشعرهم أنهم ليسوا بشراً أسوياء حين يرون الظلم عياناً ويشيحون بأوجههم إلى شؤونهم الصغرى. وفي هذه الأيام هناك موعدٌ أخلاقيٌّ هو الأكبر واسمه فلسطين. هناك شعبٌ يذبحُ هو وقضيّته على الهواء مباشرة، بينما جمهرة المتفرجين يبرعون في اختلاق الحجج التي تخدّر ألم ضمائرهم حتى حين، أي حتى تنتهي المذبحة.
تعالوا نقرأ فلسطين وحدها، لا باسم العقيدة القوميّة أو الدينيّة، لكنْ باسم هذا الوجدان الإنسانيّ السويّ الذي إذا سفحتْ كرامة شخصٍ في أقصى الأرض فقد سفحتْ كرامته شخصياً. باسم وطنٍ مسيحٍ لم يزلْ على صليبه منذ ثمانين سنة، والناس حوله بين يائسٍ بالٍ وساخرٍ ضاحك.
رأينا أنْ نترك للفلسطينيّ حقّه في الكلام عن فلسطينه. ولذا فإنَّ مادة هذا العدد كلّها كتبها فلسطينيون. حتى هذا العمود. كاتبه عراقيّ هو منذ أسبوعين فلسطينيّ من غزة.

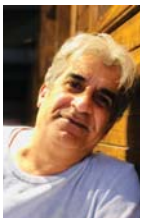

حسن البطل

فكرةٌ أخرى عن الموتِ والحياة

مـن لـه فكرة أخـرى عن المـوت، له فكـرة أخرى عن الحياة. للطقوس أنْ تنوسَ بين الفكرتين: أميركي سـأل يابانياً: هل تعتقد أنَّ هذا الميت في هذا القبر سـيتذوق الرز؟ أجابـه: كما تعتقد أنت أنَّ الميـت في ذلك القبر سيشـمُّ الوردَ. لا أعرفُ سبباً لفكرة سلفت، حيث كانت الأمهـات الوالدات "يقمطـن" أطفالهنَّ وهم في المهد، وسـن الرضاعـة. ربمـا كانت البنـات الصغيـرات، في انتقالهنَّ الفجائي من الإمساك اللاهي بلعبة من جماد، الى الإمسـاك المرتبك بوليدٍ من حياة، يواصلن تقاليد طفولتهـنَّ العابـرة، أو يبـدو لهـنَّ الوليد هشـاً، قابلاً للتكسر.. إنْ سـقط سهواً بين ذراعي الأم - الطفلة. ربما كانت العـادة الغابرة، إرثاً من حيـاة الكهوف الباردة، أو "درعـاً" يحمـي الوليد، برهة من الوقـت، يمنع عنه أنيـاب الوحوش، حتى تنجده أمه. ربما للتسـهيل على أمـه، أنْ "تخطفـه" من خطر.. وتفرّ به الـى النجاة.. أو لأنَّ وفيات الأطفال الرضَّع كانت عالية، فيكون الطفل جاهزاً للنقل من المهد الى اللحد.

اندثرت تقاليد "تقميط" الوليد، وبقيت تقاليد "تقميط" الشـهيد، كأنَّه ينتقلُ لا الى موتٍ، بل الى حياةٍ أخرى. يزفونـه كأنَّه عريـسٌ مضمخٌ بدمِه، طاهـر بدمه. كانت شـرائط "التقميط" مزخرفة بدورها، ترسـم أشكالاً من الطيور، أو أشـكالاً من الورود.. سوى أنَّ الأسود يحضرُ في تقميط الشـهداء، ويغيبُ في تقميط الأطفال الرضَّع فـي المهد. يحضرُ اللونُ الأسـود، زيحاً يطوقُ باقة من: الأخضر، الأبيض، الأحمر. ويحضر الأسود، أيضاً، لوناً من ألوان العلم الفلسطيني، ومن لون "كوفية القتال" الفلسطينيَّة، ذات اللونين: الأبيض والأسود.

الميـت في تابوت، والشـهيد على محفـة.. وفي "صلاة الميـت" على الشـهيد، يبـدو الجثمان وكأنَّه مسـكبة صغيـرة من الـورود، أو هكذا، يبدو "قماطـه" بالعلم الفلسـطيني. هـذا مشـهدٌ أفقي. الشـهيد في تشـييعه الصاخب، ومن على الشـرفات تبدو المحفات المرفوعة علـى الأكف، لا علـى الأكتاف، كأنَّها باقـة وردٍ ألقيت علـى صفحة ماء البحـر. تترنح المحفات شـاقولياً، كما تترنح أفقيـاً، لأنَّ الذين يحملون الشـهيد علـى أكفهم يختلفون فـي طول قاماتهـم، ولأنَّهم يطلقـون صراخاً بملء حناجرهم، ومن عمق رئاتهم. هكذا يبدو مشـهد التشـييع مـن رؤية شـاقوليَّة. مـن له فكـرة أخرى عن المـوت، له تقليدٌ آخر عن تشـييع الميت الشـهيد الى حيـاة الخلود. ومـن له فكرة أخرى عـن الحياة له فكرة أخرى عن الموت.

فكـرة الناس عن الحريَّة متقاربـة، لكنْ عندما تصطدم الحريَّـة بفكرتي الحياة والمـوت المختلفتين في ثقافات الشـعوب، يدعـي أصحاب الفكـرة الأخرى عـن نظام الحكم، وعن الحقوق غير المتسـاوية فـي الحياة، أنَّ لخصومهم "ثقافة موت" غير مفهومة، وأنَّهم يعيشـون ليموتوا جزافاً. كلا، تبقى الحياة عزيزة، ولكنها ليسـت أكثـر معزة من فكـرة الحياة عـن الحريَّة. تبـدأ الحياة بصرخـة أولـى، وليس صـراخ المشـيعين فـي توديع الشهيد، سـوى تأكيد بأنَّ الشـعب يصرخ: ألماً وغضباً وعهداً على الثأر، لأنَّه شعبٌ حيّ.

ليس للمراسيم النظاميَّة في توديع القتلى النظاميين في حروبٍ نظاميَّة، أنْ تطغى على اختلاف تقاليد التشييع، وهذه دلالة اختلاف فكرة ومعنى الحياة؛ وفكرة ومعنى الموت. للهتاف والصراخ في تشـييع الشهيد "المقمط" بالألـوان، المحمول على الأكـف، أنْ يصدَّ "الصدمة" الأولى عن أحباء الشهيد.. عن ذويه وأصدقائه، وأنْ يشدَّ من أزرهم.. لتبقى للجمهـور فكرته الأخرى عن الموت، وفكرته الأخـرى عن الحياة.. ودونهما قد يصعب عليه، علـى مناكبه وعلى روحه، أنْ يتحملا وطأة ثمن الحرية. ليـس لموازين القوى المختلة، وليـس لميزانيَّة الموتى المختلـة بدورها، أنْ تخلَّ بفكرة أخرى عن الموت وعن الحياة.. تضرب جذورها في عمق قناعات الناس. لذلك، فـإنَّ ميزانيَّـة الإرادات هـي التي تعدل اختـلال ميزان القوى، وفداحـة ميزانيَّة الموت: اليومي، الأسـبوعي.. السنوي.

كان الفراعنـة "يقمطـون" موتاهـم علـى مهـلٍ، وكان الذهب الخالد اسـتعارة أخرى لخلـود الميت، غير أنَّ مراسـيم تشييع الشهداء أبسـط من ذلك، لكنها أعمق فلسـفياً وفكريـاً. في النـوم وفي الموت، يأخذ الجسـد / الجثمـان اتجاهـه الأفقـي؛ وبينهمـا يأخـذ اتجاهـه العامودي. الإنسـان، ككتلة حيَّة، هـو الأكثر انتصاباً بيـن المخلوقـات. على قدمين يشـكلان جزءاً بسـيطاً من كتلة الجسـم، ثم على محفة الموت، وعلى الأكف يأخذ شكله الأفقي من جديد، كأنَّه يعودُ الى رسم قطبي الحياة والموت.

إسرائيل لن تهزم فكرة الفلسطيني عن حريته، لأنَّها لن تهزم فكرتـه المختلفة عن الموت وعـن الحياة. صحيح "من المهد الى اللحد"؟ لكنْ لهذا قطب ولذاك قطب.. وفكرة الفلسـطيني عـن الحريـة أنْ تجمـع القطبين، بحيـث يبدو الموت سـفراً الى حياة أخرى. هذا يفسـرُ، لماذا كلما كثر سـقوط الشهداء، كانت مواكب التشييع زاخرة أكثـر، وكان الصراخ والهتاف عالياً أكثر.. وصار العناد أقوى فأقوى.

«أنا وحصاني».. سيرة من داخل الزنازين لقنّاص «عيون الحراميَّة»

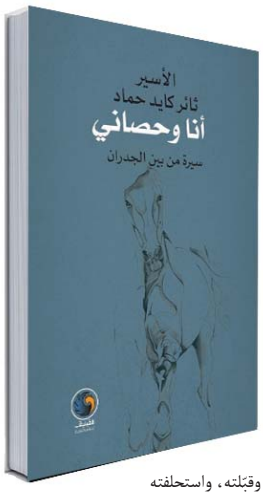

بديعة زيدان

تحت عنوان "أنا وحصاني"، صدر للأسير ثائر حمّاد، منفذ عملية "عيون الحرامية"، "سيرة من بين الجدران"، يعرفنا من خلالها ليس فقط على محطات من طفولته، وشيء عن والدته، وبداياته التنظيمية في حركة "فتح"، ولكن على ظروف الأسرى الصعبة، والعلاقة الملتبسة مع القيادة، وعلى أحداث بعينها من داخل الزنازين المتعددة، في كتابه الصادر حديثاً عن دار الفينيق للنشر والتوزيع في العاصمة الأردنية، عمّان.

وأشار حمّاد في مقدمة كتابه السيريّ إلى أنه لم يكن يتصوّر يوماً أن يقرأ الكتب، وخاصة كتب التاريخ الفلسطيني، أو أن يكتب نصّاً أدبياً أو سياسياً، لكن الإجرام الاحتلالي بحق الشعب الفلسطيني عامة، وبحق الأسرى خاصة، جعله يكتب، فالقدر والظروف الموضوعية التي تلقى على كاهل الأسير الفلسطيني هي التي تفرض عليه التغيير في نمط حياته، ففي حياة الحرية قبل الأسر كان كارهاً لشيء اسمه دراسة، بل كان متمرداً وخارجاً عن قانون المدرسة في قريته سلواد القريبة من رام الله، لا يطيق رؤيتها، أو المرور من أمامها، وحتى النظر إلى حجارتها وسماع صوت جرسها، كونها كانت كابوس طفولته.

هو السجن والسجّان الذي وضع الثائر أمام تحدٍ لا بدَّ منه، يدفعه نحو الكتابة والقراءة، لعلها تصبح يوماً واقعاً يعيشه الأسير بعد تحريره، أو تشكل إلهاماً ما للآخرين الذين يرون في كتابة الأسرى دليلاً على النضال والمعرفة والمقاومة، وفهم العدو، قبل أن يقدّم اعتذاره للمدرسة، كونه أدرك مقصدها في تعليمه متأخراً.

وفي "الحياة قبل السجن"، تطرّق حمّاد إلى طفولته في "سلواد"، حيث كان يهوى البراري والصيد في الجبال، فيما لم تغب عن ذاكرته مشاهد من يوميّات انتفاضة الحجارة التي انطلقت في العام 1987، واعتقال أشقائه الكبار، الذين تشرّب حبّ النضال منهم، وكيف كان جيش الاحتلال يقتحم بيت أسرته ليلاً نهاراً، مثيراً الرعب له ولأشقائه الصغار الذين كانوا يهرعون صوب والدتهم المنكوبة باعتقال الكبار من أبنائها.

وتحت عنوان "البداية" تحدث عن صعوبات التحقيق، خاصة إذا ما ترافقت مع جهل تنظيمي وأمني، يجد أنّه رافقه كما الكثيرين من أبناء تنظيمه بعد انشاء السلطة الوطنيّة، ففي "صبيحة 2/1/2004، دهمت قوة عسكرية إسرائيلية بيتنا، وبعد أن قامت بمحاصرته من كل جانب، ألقت القنابل الصوتية" تجاه بيت الأسرة، ومن ثم أتبعتها بصرخات عبر مكبرات الصوت مطالبة بفتح الباب، وهو ما فعله والده، فاجتاحوا البيت "بهمجيّة من دون مراعاة حرمته كعادتهم"، وبدؤوا الحديث مع والده حيث أبلغوه بقرار اعتقال ثائر، الذي تمَّ اقتياده إلى الجيب العسكري، وتحديداً إلى "مركز التحقيق في مدينة عسقلان المحتلة".

وحين وصلوا به إلى مكان التحقيق طلبوا منه استبدال ثيابه بثياب السجن بنيّة اللون، بحيث "اختاروا لي أكبر بنطال لديهم"، وحين سألهم عن بنطال على مقاسه، ردوا: "سمعنا أن القادم إلينا مخرّب كبير فأحضرنا له هذا البنطال"!.

وكان أسبوع اعتقاله صعباً، فقبله أعتقل شقيقه الأصغر عبد القادر، وبعده شقيقاه أكرم ونضال، بحيث خضع الأخير للتحقيق في "عوفر"، وعند اعتقاله خضع ثلاثتهم للتحقيق في "عسقلان"، من دون أن يعرف أي منهم في الشهر الأول من التحقيق أنّ البقية في ذات المركز، إلى أن وضعوا في زنازين متجاورة بعد اليوم الأربعين للتحقيق، فبدؤوا يتحدثون من شقوق الأبواب، كي يطمئن الواحد منهم على الآخر، لكنها "كانت خديعة من خدائع المخابرات التي تهدف إلى الحصول على المعلومات، فحصل المحققون جرّاء ذلك على ما يريدون منّا، وبعدها جمعونا نحن الثلاثة في زنزانة واحدة، فبدونا لا نشبه أنفسنا، بسبب طول شعر الرأس والذقن".

ولم يغفل حمّاد الحديث عن لقائه أولاً بالأسير فخري البرغوثي والأسير عثمان مصلح، ومن ثم بالأسرى مروان البرغوثي، ويحيى السنوار، وعبد الهادي غنيم، وغيرهم، كما أفرد صفحات للحديث عن تجربته في سجن "هداريم" حيث التقى بأحد صقور "فتح"، كما وصفه، الأسير تيسير أبو ردينة، وأسرى اعتقلوا قبل اتفاقيات أوسلو كجهاد غبن، ونعمان الشلبي، وأسرار سمرين، وغيرهم، وقيادات ممن اعتقلوا لنضالاتهم في "انتفاضة الأقصى" كعز الدين حمامرة، وزاهر مقداد، وإياد فنون، ومنصور شريم، ووليم الريماوي، وغيرهم.

اتسمت العلاقات في سجن "هداريم" بروح المسؤولية الوطنية من قبل الجميع، سواء في ظروف السجن الداخلية، أو على الصعيد الوطني الخارجي.. كانت الحوارات تدور وتثار حول القضية الفلسطينية وهمومها، وهذا يدل على أن الأسرى بقوا مصرّين على استمرار نضالهم حتى وهم داخل السجن، ويعيشون همّ شعبهم.. هذه الروح العالية عكست نفسها على بناء شخصيتي، ورتبت أولوياتي، بحيث انصب جلّ مطالعتي حول فهم القضية كأولوية.

وبدأ حمّاد من داخل الأسر رحلة تعليمه الأكاديمي بعد طول انتظار، وبعد أن أنهى فصله الثاني نقل إلى سجن "نفحة" الذي أمضى فيه قرابة العام، ومن ثم نقل إلى سجن "جلبوع" لعام آخر، وكان يدرّسه ورفاقه باسل غطاس، الأسير والنائب العربي السابق في الكنيست الإسرائيلي، وبعد ذلك بعام، نقل إلى سجن "نفحة"، وهناك أكمل دراسته النهائية في درجة البكالوريوس في الخدمة الاجتماعية، بإشراف الأسيرين وليم الريماوي وياسر أبو بكر.. وفي العام 2021، تم اعتماده في برنامج الماجستير من قبل جامعة القدس المفتوحة، ومع بداية كتابة يوميّاته هذه كان قد أنهى الفصل الثاني من برنامج الماجستير بتاريخ 11 أيلول 2022.

وتناول حمّاد في سرديته السيريَّة هذه الزنزانة، متحدثاً عن تصميمها، والهدف منها، قبل أن يتحدث عن حالات التمرّد الجماعي للأسرى في السجون، كتمرّد سجن "هداريم"، وتمرّد "رامون"، ومن ثم يتطرق إلى عزل سجن "بئر السبع".

وكان لنبأ اعتقال والده وقع كبير عليه، واحتل مساحة هي الأكبر من تفكيره، لكونه كان يتجاوز، وقتذاك، الخامسة والستين من عمره، ومن ثم فإنّ ظروف الاعتقال والسجن ستكون صعبة وقاسية للغاية عليه، خاصة أنّه أمضى قرابة الشهرين في "عوفر"، قبل أن يحكم عليهم بالسجن لثمانية أشهر.

وبعد رحلة عقابيَّة للابن اجتمع ووالده في سجن "إيشيل"، هو الذي لم يقابله على مدار أحد عشر عاماً إلا خمس مرّات في زيارات قصيرة، لكنه في السجن شاهده على طبيعته من دون حواجز تحجب الحقيقة، واحتضنه معانقاً، وقبل يديه وجبينه.

"بوجود الوالد، اضطررت أن أغيّر الكثير في أسلوب حياتي، سواء مع الأسرى أو مع السجّانين، فلم أعد أتدخل في شؤون الأسرى، إلا في بعض الحالات، فقد كان في القسم من يريد أن ينتقل عند أخيه الأسير في سجن الرملة لإصابته بالسرطان، وكانت إدارة السجن ترفض ذلك، ما دفعني لاستئذان والدي بأن أعتصم ورفاقي في ساحة السجن مطالبين بنقل رفيقنا الأسير عند شقيقه المريض، رغم أن ذلك قد يترتب عليه إجراءات بحق كل منا، ومن ثمّ الافتراق عن والدي".

بقي ثمانية أشهر برفقة والده، حتى أنّهما انتقلا معاً إلى سجن "نفحة".. "قبل صعودنا إلى البوسطة الخاصة بالنقليات، كانوا قد بدؤوا يضعون القيود في اليدين والقدمين، وحين كنت أنظر إلى والدي وهو مكبل بتلك الأصفاد ما يعيق مشيه، ويكاد يقع، وأنا أحمل الحقائب رغم قيودي، وعيني تراقبه، وأحاول إسناده خوفاً من سقوطه.. لاحظت نظراته تجاهي، تلك التي كانت لا تخفي الحزن والغضب الذي يكتنزه في قلبه وعقله، لكن يبدو أننا نحن، الاثنين، كنّا نمارس الشعور الخفي تجاه بعضنا البعض، من أجل عدم إظهار الحزن أمام السجّان المجرم.. الموقف الأصعب كان حين تمّ إبلاغ والدي بأنه سيتم الإفراج عنه.. كانت المشاعر مختلطة ما بين الحزن والفرح بهذا الفراق، وكانت آخر اللمسات، وآخر الأحضان، وآخر القبلات، وآخر مرّة أشمّ فيها رائحته.. قمت بإلباسه أحسن الملابس، وزيّنته، وعطّرته، وقبّلته، واستحلفته بالله ألا يذرف الدمع أمامي وأمام الأسرى، وبالفعل استطاع ذلك، وأثبت أنه إنسان قويّ، وقائد حقيقيّ، وأب عسكريّ، ومناضل كبير".

وانتقد حمّاد حالة عدم الإصغاء للأسرى من قبل القيادة، بقوله، "باب القيادة أبى أن يفتح رغم تكرار طرح أفكارنا عليه، ما جعلها تتلاطم في زنازيننا، ويعود حبر أقلامنا إلى الأقلام، فبقي صوتنا لا يسمعه سوانا، وأصبح الأسير يخاطب نفسه بعد أن طمح أن يخاطب قيادته قاصداً بذلك المساهمة في تقديم علاج لبعض القضايا التي يعاني منها المشهد السياسي، وتأثر بها الشعب الفلسطيني، وكذلك القضية الفلسطينية برمّتها".

كما تحدث عمّا وصفه بتداعيات "الانقلاب الحمساوي في غزة" على الأسرى عامة، وعليه خاصة، فقد أدى إلى "انقسام الحركة الأسيرة، وتم التفريق بين أسرى (حماس) و(فتح) في السجون، ووصلت في بعض الأحيان إلى التفريق بينهم في سيّارات البوسطة.. ومع مرور السنوات، تغيّرت أنماط العلاقة، بل وتحوّلت الطاقات داخل السجون، وفي ساحات الوطن، ضد بعضنا البعض، ونسينا الاحتلال الذي أمعن في غرس أنيابه في جسد الشعب الفلسطيني برمّته".

وعاد حمّاد إلى الحديث عن عائلته، فأفرد صفحات لأمه، وأخرى لأشقائه، متحدثاً أيضاً عن الحالة النضالية في عائلته منذ معركة الكرامة التي ارتقى فيها أول شهيد لعائلته، حربي حمّاد، شقيق جدّه، وكان أحد مناضلي حركة "فتح"، فيما أصيب عمّه في المعركة نفسها، وكان ابن عمّه الصغير نبيل شهيداً من شهداء انتفاضة الحجارة، وتحديداً في العام 1991، وهي الانتفاضة التي شهدت اعتقال أشقاء ثائر الثلاثة الكبار: ياسر، ونضال وإياد حمّاد أحفاد الحاج قدورة حمّاد، الذي اعتقل أكثر من مرّة ومارست سلطات الاحتلال التعذيب بحقه في مراكز تحقيقها، منتصف سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

وممّا خلص إليه حمّاد في سيرته "أنا وحصاني" أن "الاستمرارية في النضال والتضحيات، تؤكد للقاصي والداني، أن فلسطين لنا، والحق حتماً سينتصر على قوة الباطل التي يمارسها الاحتلال.. نحن باقون ما دام الزعتر والزيتون".

المفارقة (Paradox)
وجماليَّة التجديد الروائيّ الفلسطيني

آمنة حجّاج

يُمثّل إنتاج الرواية في الربع الأخير من القرن العشرين تياراً جديداً في تطور الرواية العربيَّة، وهو تيارٌ تجلّى فيه تعقّد الفكر، واتضح فيه نضجُ الذات المتأمّلة في إئتلاف متناقضات الواقع واستشراف المستقبل، فأنجب هذا التيار تجارب روائيَّة جديدة، تنصهرُ فيها رغبة التجديد الجمالي والفكري. وقد تميز هذا التيار بخصائص عديدة، ظهرت في مختلف عناصر الحكاية والخطاب، وكان من هذه الخصائص توظيف المفارقة؛ إذ سجل الأدب العربي المعاصر تحوّلاً في العنصر المهيمن، من اتجاه يقوم على محاكاة الواقع إلى اتجاهٍ يقوم على مجاوزة هذا الواقع ببناء المفارقة.

ومن النماذج البارزة في الرواية الفلسطينيَّة، التي كانت المفارقة مكوناً أساساً من مكوناتها، رواية (الصورة الأخيرة في الألبوم)، لسميح القاسم، الصادرة في العام 1980م، ومدارها على حياة الفلسطيني في الداخل 48، والعلاقة بينه وبين الآخر الإسرائيلي في (تل أبيب) التي كانت الفضاء الحاضن للمتن الروائي.

وبدا أنَّ هذه الرواية تعتمد أسلوب المفارقة؛ لتعميق إشكال الوجود في إسرائيل وتناقضاته، والتحوّلات التي طرأت على العلاقة بين طرفي الصراع. وتُعلن الرواية في بدايتها موقفاً نمطيًّا للفلسطيني من المعيش في إسرائيل والعلاقة بالآخر، موقفاً نجده في قول أم أمير لابنها: "ستفتح دكّاناً يا ولد، وتبيع طحيناً وشفرات حلاقة. ماجستيرك في العلوم السياسيَّة، لن يجعلك ملحقاً في أيَّة سفارة إسرائيليَّة. اعترف بأنك لن تقبل أصلاً بالعمل في السفارات الإسرائيليَّة، إنها ليست سفاراتك، قلها بصوتٍ عالٍ ولا تخجل، أنت على حقّ! إنها ليست سفاراتك ولا سفارات المرحوم أبيك، ولكن ماذا تفعل بشهادة الماجستير التي حصلت عليها من الجامعة العبريَّة في (يروشلايم)؟ لا تتسرع. لن تقذف بها إلى المرحاض؛ فهي ليست صالحة حتى كورقة (تواليت)! علوم سياسيَّة يا بن الكلب؟ من أجل ماذا العلوم السياسيَّة، للعمل الدبلوماسي؟ لا بأس عليك! ها أنت سفير متجوّل لدى البطالة" ( ).

كما تُعلن موقف الآخر الإسرائيلي من وجود الفلسطيني في أرضه! "اخجل على نفسك ألا يكفي أنك تُشغّل العرب؟ ألا تدافع عنهم أيضاً؟ لا شكّ بأنك تحبهم.. تحب العرب.. قل ذلك بصراحة.. إنهم يقتلون أبناء شعبك وأنت تحبهم! [...] أنا أشغلهم؛ لأنني أربح من عملهم، ثم أنني أراقبهم جيداً، وهم لا يتدخلون في السياسة [...] أرض إسرائيل! قالوا لنا: تعالوا إلى دولة اليهود.. وها هي دولة اليهود مليئة بالعرب.. أرض إسرائيل! متى نصلك يا أرض إسرائيل؟! أرض الحليب والعسل!" ( ).

غير أنَّ هذه الرواية تنعطفُ بالذات الفلسطينيَّة نحو اتجاهٍ آخر؛ إذ يجسر الحبّ الهوة بين طرفي النزاع، فتنبت من أرض التناقضات المعادية ثمرة تخالف الكره المتعاقد عليه، وذلك من خلال قصة حبّ أمير الفلسطيني لروتي الإسرائيليَّة، في أثناء عمله في مقهى يمتلكه والدها، الضابط في جيش الاحتلال، فتمضي الرواية في تأثيث عالمٍ جديدٍ غير معادٍ داخل العالم الواقعي المعادي، عالم جمع مكوِّناته من علاقة الائتلاف بين الأضداد، وهي علاقة يتقبل فيها الطرفان بعضهما بعضاً؛ انطلاقًا من المبادئ الإنسانيَّة في ظلّ مجتمعٍ معادٍ، قائمٍ على فلسفة الرفض المتبادل.

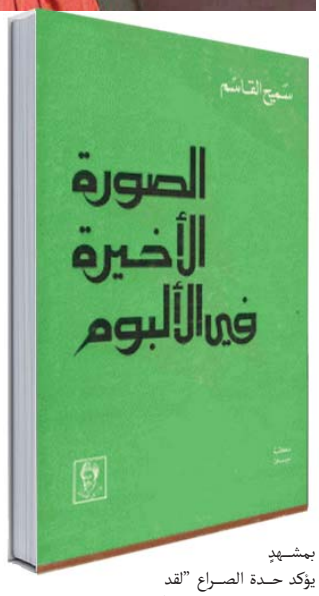

وتظلّ الرواية تتأرجح بين الألفة والعداء إلى أنْ تنتهي بمشهدٍ يؤكد حدة الصراع "لقد فعلها والدك مرّة أخرى.. إنَّه بطلٌ حقيقيٌ [...] لقد صفّى والدك مخرّباً جديداً من هؤلاء العرب الذين ما زالوا يعيشون في بلادنا للأسف الشديد.. إنهم طابور خامس [...] انظري هنا [...] ها هي الصورة.. والدك يشرح للصحفيين العسكريين وجثة المخرّب ملقاة عند قدميه" ( ). ومقابل صورة الشاب (علي شقيق أمير) الذي قتله والد (روتي) في الصحيفة نجد صورة (روتي)، التي ألقتها إلى والدها ليضعها في ألبومه (الرهيب)، الذي يحتفظ فيه بصور قتلاه الفلسطينيين. وليست صورة (روتي) المنزوعة من بطاقة الهويَّة الإسرائيليَّة سوى مسعى لاستمرار الإئتلاف، بوجود صوتٍ خفيضٍ يساندُ الأنا الفلسطينيَّة، ويؤازرها في معاناتها. لقد توسل القاسم بالمفارقة؛ لصنع فضاءٍ يلائمُ تناقضات الواقع في المجتمع المهجّن، في بناء الأحداث والشخصيات خاصة، ليُقدِّم نماذج متنافرة، لشخصيات فلسطينيَّة وإسرائيليَّة تُظْهِر - حين تجتمع في صورة كليَّة - إئتلاف الشيء ونقيضه الذي تعمّق في الحوارات الداخليَّة والخارجيَّة.

سميح القاسم

وتعدّ رواية (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النّحس المتشائل) لإميل حبيبي الصادرة عام 1974م من الروايات المؤسسة لتاريخٍ جديدٍ في الرواية العربيَّة، فهي نسيجٌ سرديٌ جديدٌ تَركّب من مواد حكائيَّة انتظمت جميعها في إطارٍ تخييلي وغرائبي وجمالي، فتح النصّ على تعدد القراءات ( ). وتمثّل هذه الرواية قفزة نوعيَّة في مسيرة إميل حبيبي، الذي كانت له بصمة خاصَّة في عالم الرواية الفلسطينيَّة والعربيَّة. ويجد قارئ المتشائل نفسه أمام ثقافة عربيَّة قديمة، يعبثُ إميل حبيبي بوقائعها، ويقدم له بها متناً هجيناً، قوامه المفارقة المثيرة للضحك العادي، ويُحوّله إلى ضحكٍ أسود ( )، وهو ما يُفسّر حضور السخريَّة السوداء - بوصفها عنصراً من عناصر المفارقة- حضوراً بارزاً في هذا النصّ. وقد كان من الملحوظ أنَّ نص حبيبي يُسلّم نفسه منذ العتبة الأولى للمفارقات، فللعنوان وقعٌ جماليٌ مدهشٌ للقارئ، أحدثه اكتنازه بالتضاد والغرابة وهو يحيل على الشخصيَّة المحوريَّة، سعيد أبي النحسّ الذي يطابق اسمه رسمه خلقة ومنطقاً، من عائلة المتشائل، وهي نحتٌ من كلمتين، هما: (المتفائل والمتشائم)، وهو رجلٌ لا يميز بين طرفي نقيض: "إنني لا أُميّز التشاؤم عن التفاؤل. فأسأل نفسي: من أنا، أمتشائمٌ أنا أم متفائل؟! أقوم في الصباح من نومي فأحمده على أنَّه لم يقبضني في المنام. فإذا

أصابني مكـروهٌ في يومي أحمده علـى أنَّ الأكره منه لم يقـع، فأيُهمـا أنا، المتشـائم أم المتفائـل ؟" ( )، وهو رجلٌ يُعلن أنَّ حياته في إسرائيل كانت (فضلة حمار)، إذ إنَّ حماراً حال بينه وبين رصاصة كادت تودي بحياته في صغره. إنَّ هذا النـص يكرّس منطق الإلغاء، فبطل الرواية موجودٌ وغير موجودٍ في اللحظة نفسها، موجودٌ باسمه الذي يحيل أصلاً على الإلغاء لا على الوجود ( ). لقد اشتدّت أزمة فلسـطين فانفجرت لدى إميل حبيبي "تشـاؤلاً، وهو اسـمٌ منحوتٌ لضحكـة جدليّة، يمتزج فيها التشـاؤم بالتفاؤل [...] يضحـك إذن إميل حبيبي مـن (كثر الهمّ) ويُضحكنـا في انتظـار أنْ تأتيه وتأتينا الفرحـة.. فيبكـي ونجهش معـه [...] مأسـاة يرويها لنا الكاتـب بلغة الملهـاة، وفق مبدأ التشـاؤم، ولكنه ما اكتفـى بهـذه المفارقة الأساسـيَّة بـل زاد؛ فذهب في التلاعـب بالأضـداد إلى المنتهـى" ( ). لقد قـدّم إميل حبيبي من خلال بطله (المتشـائل) صورة صادمة من صـور العـودة إلـى الوطن، إذ إنَّ سـعيداً لـم يعد إلى "وطنه المحتل؛ لأنَّ حنيناً للأرض أو الأهل شـده، ولا لأنه صاحب ولاء وطني أراد المقاومة بالحضور؛ إشالاً للتغييب. هـو عائـد؛ لأنَّ المنفى ضاق عليـه، فارتأى العـودة؛ حلًّا لضائقتـه الاقتصاديَّة. عـاد وعمل عميلاً لدى المحتلين الإسـرائيليين وعرقل محاولات الساعين للعودة من أبناء شعبه" ( ). ليس هذا وحسب؛ إذ خرج حبيبي بمتشـائله من دائرة الأقليَّة العميلة المسـتحقة للنبذ، وأدخله فـي دائرة الجماعة المهمشـة أو الفقيرة في المجتمع الإسـرائيلي، وكشف من خلال صورة ذلك العميل عن مأزق فلسـطينيي الداخل 48، فهم ليسوا أقل انسحاقاً من فئة العملاء، فهم جميعاً مثل سعيد، بقوا في إسرائيل (بفضلة حمار).

ولم يقتصر دور سعيد (المتشائل) الشخصيَّة الساقطة في العرف التقليدي في سرد تفاصيل خيانته لوطنه وحطِّته، بل اضطلع بسرد الرواية الفلسطينيَّة المعارضة للرواية الإسرائيليَّة حول أبناء شعبه، وهي الرواية التي تُكرّس مبدأ الفلسطيني الذي باع أرضه لهم! إنَّ حبيبي، من خلال هذا النص الفريد، يحاول أنْ يردَّ للذات الفلسطينيَّة الوضيعة شيئاً من اعتبارها الإنساني؛ فالمتشائل ليس مجرد عميلٍ ساقطٍ بل هو -أيضاً- أنموذجٌ للمأزوم المنفي في وطنه الباحث عن هويته. ولعلَّ ذلك ما يفسر إلحاح الكاتب على توظيف التراث، لاسترداد ماضي الشخصيَّة، "تقف رواية المتشائل، باعتبار زمنها ومكانها، سدّاً في وجه الاضمحلال والذوبان في ثقافة المحتل المنتصر عسكريّاً، ففي رواية سعيد لقصته باللسان العربي واستحضاره للتراث والحكاية الشعبيَّة في سلطة تسعى لمحو هذا اللسان وهذا التاريخ مقاومة لا يستهان بها [...] في المتشائل

إميل حبيبي

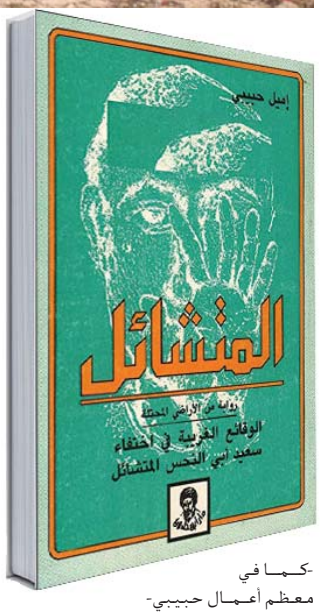

-كـمـا في معـظـم أعـمـال حبيبي- ثنائيات تعكسُ التناقض الداخلي الذي يعتمل في ضمائر المهزومين في ثقافة مغايرة، منتصرة. هو صراع الذات بين الحقيقة الداخليَّة والأخرى الخارجيَّة التي يفرضها الواقع" ( )، وهو الصراع الذي ظهر في إطار الثنائيات التي هيمنت على الرواية منذ العنوان (التشاؤم-التفاؤل).

لقـد فرضـت رؤية الكاتـب للواقـع المعيـش ومظاهر التنافـر في الداخـل 48 هذا الشـكل الجديد وحرّضت على توليـد المفارقة فأصبحـت الرواية فضـاءً مُهجّناً، تنصهر فيه سلسـلة من المفارقات -التي طالت العنوان والموضوعـات وعناصر الحكاية والخطاب - وأسـاليب من التـراث السـردي، كالمقامـة والسـيرة والملحمة. وقـد مثلت المفارقة فـي هذا النص "موقفـاً من التراث الحضـاري حين تتجـه إلى إعـادة تقييم التـراث الفني الموروث، من خلال إعادة صياغته وتشـكيله وتفسيره وتحويله" ( )، وهو ما يكشـف عـن الغاية الكامنة من وراء استحضار الفنون السرديَّة القديمة في النص القائم على المفارقة.

وقـد أطلـق شـكري الماضي على هـذا النمـط الروائي الجديـد، الذي حمل لواءه إميل حبيبي اسـم (السـرد المهجّن)، وبه استطاع حبيبي أنْ يوازنَ بين الضرورات الفنيَّة، والتفسيرات السياسيَّة، والجمع بين المعاصرة والتراث، وتناقضات الواقع، بحثاً عن العنصر الإنساني وسـط الركام ( ). وفي هذا السـياق، يقول توفيق بكّار عن التناقض في الرواية: "وإن وُجد التناقض في صميم المتشـائل؛ فلأنَّ المتشـائل في صميـم التناقض بين قوّتين لا سبيل إلى التوفيق بينهما: إسرائيل وفلسطين، اسـمان مـن الأضـداد لا يجتمعـان إلّا علـى الصـراع وينصرفـان في الرواية إلى مجموعتين متعاكسـتين من الأشـخاص والمواقف [...] تلك فلسـطين فـي الرواية تُجـدّد ذاتها عبر المحنة، فهي ضـدّ الضدّ في وحدتهما الجدليّة، تنمو تجاه المأساة، والتفاؤل يداخل بضبائله قتامة التشاؤم" ( ).

ومع أنَّ الروايـة تتمحور حول الهويَّة السياسـيَّة وتمد جسـورها نحو الواقـع الحقيقي؛ فـإنَّ "حبيبي وظف تقنيات إقناعيَّة، فكريَّة، أسـهمت في جعل الشـكل الواقعـي الحقيقـي للروايـة أكثـر ضبابيَّة. فـي الرواية يلتقي الخط المأسـاوي العريض للأحداث التي تستند إلى التاريـخ الموضوعـي، ويمتزج بالخط المأسـاوي للأحـداث التي تلـمّ بحياة المتشـائل. لكـنَّ مجموع الأحـداث والوقائـع والتفاصيـل التي تتراكـم لصياغة المأسـاة، تأتـي في معظمها من نسـيج مادة سـاخرة بالأسـاس. السـخريَّة لدى إميل حبيبي حيلة دفاعيَّة، وحيلة أدبيَّة في ذات الوقت [...] هكذا استطاع حبيبي أنْ يميز بيـن النص التأريخي التوثيقـي، وبين النص الواقعي الحقيقي، واستطاع أن يوظّف السياسة، وأن يجمّلها ويقربها للقارئ، لقد نجح حبيبي في تبديد رفض القـارئ وعزوفه عن النصـوص التي تعتمد المسـتوى المباشر والشفاف، وهذا هو ما يميز رواية المتشائل في الأدب الفلسطيني. لقد وظف حبيبي المفارقة (Irony) في اختبار الشكل الأدبي وأسلوب السرد، وفي طريقة عـرض الأحداث، واختيار شـخصيَّة البطـل [...] هذا التوظيف نسـج تناقضاً بيـن المضمون الجديّ، وبين التأثير الكوميدي على المتلقي، وأنتج نصّاً سلسـاً على المسـتوى الشعوري، وعلى المسـتوى الفكري والإدراكي القرائي. لقد جعلت السخريَّة والمفارقة النص نصّاً قابلاً للقراءة؛ لأنهـا جمّلت الجانب القبيح من السياسـة، وكانت حيلة آنيَّة، أسـهمت في تغيير الواقع/ الحقيقة "( ).

والمتأمل في الدراسات التي تناولت رواية (المتشائل)، يلحـظ أنَّ تعاطي الدارسـين للمفارقة فـي الرواية كان من خلال اتجاهين، اتجـاه المفارقة (Irony) واتجاه المفارقـة (Paradox)، ومـرد ذلـك - فضلًا عـن أنَّه نتيجـة فهـم كلّ دارسٍ لمصطلـح المفارقـة واختياره لمرادفهـا الإنجليزي- إلى أنَّ النـص ينجذب بقوة تكاد تكون متسـاوية نحو الاتجاهين (السخريَّة والتناقض). غيـر أنني أميـل إلى أنَّ المفارقة التـي تدخّلت في بناء مسـتويات الروايـة جميعهـا (الموضوعـات وعناصـر الحكايـة والخطـاب والموقـف والعوالـم الممكنة)، لم تغـادر التناقض، حتى وهي في قمـة انجذابها نحو السـخريَّة؛ إذ لم تكن السـخريَّة في هذا النصّ سـوى حيلة، أظهرت حدّة التناقض، ومشـرطاً قدّمه حبيبي للقارئ؛ ليشق به جسد ظاهر النص، ويسبر أغواره.

إنَّ كتابـات إميـل حبيبي -المتشـائل خاصـة- تُعدّ مـن علامات الطريق في مسـار الروايـة العربيَّة التي اتخذت من المفارقة (Paradox) مكوّناً إنشـائيّاً لبناء المتن الحكائي، وهي مدرسـة، كان لها كبير الأثر في إنتاج كتّاب الداخل الفلسـطيني، لا سيما في اعتماد بعضهـم على روح المفارقة الناظمـة لمتونهم الروائيَّة فكرة وبناءً.

لكنّي أحبُّ زينب

لا أعرف الشاعر محمد مهدي الجواهري، لا أستطيع القراءة له، أنا شخصٌ أمّي، لا أقرأ ولا أكتب، لكنّي أحبُ زينب، كما لم يحب أحدٌ أحداً، أنفاس حياتي متوقفة على عيشي معها في بيت واحد، ربما تستغربون من علو لغة ما أكتب الآن، وتناقض هذا العلو مع أميّتي، نعم هذه ليست لغتي، إنها لغة الأستاذ زياد خدّاش الصحافي والكاتب في جريدة فلسطين اليافاوية، رأيته مرةً يجلسُ في مقهى (اللمداني) في الطابق الأول من عمارة البلدية،

زياد خداش

أتذكّر ذلك اليوم تماماً، كان مشمساً، وأتذكّر التاريخ: 1 - 3 - 1945، دلّني عليه أحد زملائي المتعلمين في شركة السكب التي أعمل فيها، وقفت أمام الأستاذ خدّاش خجلاً: أستاذي أنا سامي الأصفر عامل في شركة السكب، أحتاجك في أمر جلل.

رحّب بي الأستاذ، عزمني على كأس شاي، حكيت له قصة حبي لزينب ابنة عمي.

أستاذي حياتي دون زينب لا تساوي شيئاً، لكن لست متأكداً أن حياتها من دوني لا تساوي شيئاً أيضاً، أحبها منذ ثلاث سنوات، وأحلم بالزواج منها، لكن كلامها معي غريب جداً، تقول لي:

سأحبك جداً، وأوافق على الزواج منك فقط بشرط واحد أن تأخذني إلى اللقاء الشعري مع شخص اسمه محمد مهدي الجواهري، هو شاعر عراقي سيصل فلسطين بعد أيام، اللقاء سيقام في النادي العربي، زينب مصممة على الذهاب إلى اللقاء، فهي معجبة جداً بالشاعر، وإلا فسوف تعاقبني بعدم الحب والزواج، أريد منك أن تأخذنا إلى النادي، حتى توافق زينب على الزواج بي، تعاطف الأستاذ مع حبي الحزين، وعدني باصطحابي وزينب إلى لقاء الشاعر.

لقاءاتي مع زينب تحت الجميزة الكبيرة أمام شركة السكب، التي أعمل فيها في شارع القدس مقابل سبيل أبو نبوت، كانت تأتيني عند الساعة العاشرة صباحاً وقت استراحة العمال، تحضر لي معها طعاماً وحلوى، لكنّها كانت تحضر أيضاً شرطاً جديداً لزواجنا، فبعد أن حقّق لها الأستاذ خدّاش أمنيتها برؤية الجواهري عن قرب، قبل سنة تقريباً، لم تفِ بوعدها، ظلت تماطل، ولأنني أعشقُ وجودها كله بما فيه خذلانها لي، ما زلت أصبر، وأتحمّل.

في لقاء اليوم تحت الجميزة سلّمتني زينب طعامي ورغبة بحضور رواية (مجنون ليلى) للفرقة المصرية القومية، والتي ستعرض على مسرح سينما الحمراء، وافقتُ فوراً، واتصلتُ بالأستاذ خدّاش الذي تعاطف معي مرةً أخرى، مستغرباً تحملي لمماطلات زينب، لكن الأمور زادت عن حدها، فبعد أشهر وضعت شرطاً ثالثاً وهو حضور فيلم (غني حرب) في سينما

الرشيد، لبشارة واكيم وحسن فائق، كان الخجل يأكلني، وأنا أطلب من الأستاذ مساعدتنا، كانت دور السينما والمسارح تُدخل الصحافيين مجاناً؛ ليكتبوا عن الأفلام والروايات، وتسمح لاثنين بالدخول مع الصحافي مجانا، ساعدنا الأستاذ للمرة الثالثة، طالباً مني إذناً لأن يكتب قصتي (متقمصاً اسمي) مع الضعف المقدس الجميل كما سمّاه في الصحيفة، وافقت طبعاً، فالمهم هو سعادة مجنونتي زينب.

تعاطفتُ مع سامي الأصفر العامل في شركة السكب، أحببتُ ضعفه الجميل أمام محبوبته زينب عاشقة الأدب والفنون، وحين أتاني يرتعش من الخجل؛ ليطلب مني للمرة الرابعة اصطحابه مع زينب، لمشاهدة حفلة لأم كلثوم في قاعة (سينما أبولو)، قلت له: هذه هي المرة الأخيرة، أرجوك يا سامي أوقف هذه المسرحية الكوميدية، كن قوياً، وهذا ما حدث، فبعد حضور سامي وزينب لحفلة أم كلثوم اختفيا من حياتي نهائياً، توقعتُ أن زينب قد وفت بعهدها وتزوجته، سنتان مضت على آخر مرة رأيتُ فيها سامي وزينبَ، ما حدث أواخر العام 1947 كان مروّعاً، فقد استيقظت يافا على خبر استشهاد شقيقين بلغمٍ انفجر فيهما، كانا يعدانه لتفجيره في طائرة (بن غوريون) الرابضة في مطار اللد، تحدّث الناس بتأثر وفخر عن بطولة الشقيقين اللذين انضما مع مجموعة من عمّال شركة السكب إلى فرقة ألغام تابعة للثورة في يافا بقيادة أبي حسن سلامة، وحين قرأتُ خبراً في جريدتي (فلسطين) بأن البطلين هما سامي الأصفر وشقيقه، لم أستطع الكلام، كدتُ أقع على الأرض، شعرتُ بندم شديد على إيقافي لمشروع ضعف سامي العظيم.

بعد شهرين بدأتُ أفكّر في استكمال كتابة قصة سامي وزينب على صفحات جريدتي، ذهبت إلى مديري (رجا العيسى) رئيس تحرير الجريدة، وقبل أن أفاتحه بالموضوع طلب مني أن أجلس، أحضر لي فنجان قهوة وبدأ في الحديث: لديّ قصة غريبة لك للكتابة، أتتذكّر سامي الأصفر وشقيقه اللذين استشهدا في انفجار لغم؟ لي قصة مع سامي غريبة بعض الشيء حضر إليّ قبل أشهر، كنتُ جالساً في مقهى داود، أراد مني أمنية غريبة، هي أن أساعده في حضور فيلم هو وحبيبته التي اشترطت عليه أن تحضر عشرة أفلام في دور سينما يافا؛ لتقبل الزواج منه و---

لم أعد أسمع ما يقوله مديري، وضعتُ رأسي بين كفيّ، وقفتُ بصعوبة موشكاً على الوقوع، خرجتُ، لم أكن مهتماً لمعرفة إن كان مديري نادى عليّ، أم أنه وقف مصدوماً من خروجي المفاجئ.

خطاب رب الجنود قبل الخروج الكبير

خالد جمعة

فليغيرِ النيل مجراه ثلاثة أيام، ويعد طفلاً في اليوم الرابع، أنا رب الجنود فاسمعوا ما تتلوه الجبال ورمال الصحارى، ستتبعون النبي في رحلته الأخيرة دون أسئلة، تساءلوا ولا تسألوا، وافعلوا ما يحسُن في عينيّ، لأهب لكم مملكةً من شجرٍ وسلام، أعطوا الطريق سيرتها الخالدة، ولا تظلموا الغيم كي لا تعطش حكاياتكم إلى أبطالها، وها أنا أنبئكم بما سيصير كي لا تعودوا عبيداً كما نشأتم أول مرة، أعيدوا سيرة أنبيائي إلى عطورها الراسخة، وتذكروني دائماً حين مزّقتْ أعداءكم، دون أن ترفعوا سيفاً أو تشحذوا نصلاً، أنا رب الجنود وكلماتي هي الحق، وكلماتي هي فعلي قبل أن أنطق بها فلا تنقضوا عهداً كي لا تضيع أخباركم في التيه.

وهبتكم ليعقوب وأسباطه، أحراراً كالطيور، ونشرت الخوف منكم في قلوب أعدائكم، فطمعتم فاستعبدوكم، لكنهم ظلوا خائفين، يقتلون كلَّ رضيعٍ كي لا يصير شجرةً يصعب على الريح اقتلاعها، وفيما هم كذلك نسوا قدرة رب الجنود، فأودعنا النبي بيوتهم، كان أقرب من أثوابهم ولم يحسوا، وكنتم في خوفٍ لا تبصرون أصابعكم من ظلمة الرعب، وكان هو آمنا يرضع من أمه، ويأكل من يد فرعون، سأهبكم ما يفوق خيالاتكم الصغيرة، وكلما سألتم عمّا لا يجوز السؤال عنه حمي غضبي، ولا حاجة لي بالكلام عما يعنيه غضب الرّب، ستخطئون وسأغفر، لكن هذا لن يكون أبدياً كقدرتي، وستدخلون ظلاماً لن تكونوا بعده في نوري أبداً.

بعصاه التي فقدت ماءها أريتكم قدرتي، وقلتُ أنا الربُّ أخرجكم من نير المصريين بذراعي الممدودة وأحكامي العظيمة، لأتخذكم شعباً لي، وتتخذوني إلهاً لكم، وأريتكم عجائبي حين صار الماء دماً، وسرحت الضفادع في طين مصر، وحام في هوائهم البعوض والذباب، وأرسلت الوباء على خيل فرعون وجماله وحميره وبقره وغنمه، أما مواشيكم فكانت ترتع في عشب الرب لا يصيبها شيء، ولم يردّ فرعون عن غيه كذلك البَرَد والجراد والريح والظلام، كل هذا من فعلي أنا رب الجنود، ولم تحركوا إصبعاً لتدفعوا عن أنفسكم شيئاً، نجوتم لأني أردت لكم النجاة.

خطيئتكم الأولى كانت أن طلب كل رجل من صاحبه المصري، وكل امرأة من صاحبتها المصرية أمتعة من فضة أو ذهب، وهربتم بها في طريق الرب، لذا غضبتُ، لكن غضبي لم يظهر في طريق نجاتكم، لأني الرب الغفور، لا شيء يشبه حلمي، لكن لا شيء كذلك يشبه غضبي، وقبل أن تخرجوا سيكون كل بكر في مصر من بكر فرعون إلى بكر الجارية خلف الرحى قد مات، وسيكون الصراخ في أرض مصر من بحرها إلى صحرائها عظيماً.

سأشقُّ لكم البحر بيد رسولي، لتخرجوا من عبودية الليل إلى ضوء النهار، لكنكم ستكفرون، أعرف ما سيكون لأني أنا الرب الذي يعرف ما سيكون، ستنكرون ما ترونه بأعينكم، سآمركم ألّا تأكلوا خميراً في عيد الخروج، وستأكلون خميراً، سآمركم ألّا تعبدوا سواي وستعبدون كثيرين غيري، سآمركم ألّا تعملوا في السبت وستعملون، وستنكرون عمود السحاب حتى بعد أن يقود أقدامكم، سألقنكم الوصايا وستلتفون عليها كما يلتف ثعلب على فريسته من خلفها فلا تراه، أنا الذي أعميها عنه كي أهيئ له رزقه، ولو جعلتها تبصره لماتت الحياة على الأرض، كما ستموتون يوماً دون أن يدرك سيرتكم أحد.

ستجادلون موسى، وستقولون أخذتنا لنموت في البرية، وقد كان خير لنا أن نخدم أهل مصر من أن نموت هنا، سيقول لكم إن الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون، وسأقاتل عنكم وأغرق مستعبديكم، لكنكم ستتذمرون، ستقولون ليتنا متنا بأرض مصر، كي لا نموت هنا عطشا وجوعا، وسأمطر لكم خبزاً وأخرج لكم ماءً من الصخر، ستؤمنون قليلاً ثم ستكفرون، وسيصرخ موسى مستنجدا بي: ماذا أفعل بشعب يجرب ربه؟ بعد قليل سيرجمونني...

سيصعد موسى إلى رأس جبل سيناء ليلقاني، سيحمل وصاياي، سينقل إليكم مشيئتي ألّا تنطقوا باسمي باطلاً لأني لا أبرّئ من نطق باسمي باطلاً، وأن تجعلوا السبت يوماً للرب، وأن تكرموا آباءكم وأمهاتكم، وألّا تقتلوا، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تشهدوا زوراً، ولا تشتهوا نساء أقربائكم لا عبيدهم ولا حميرهم ولا ثيرانهم، ولا شيء مما يملكون، ستسمعون، ستفهمون، لكنكم ستفعلون كل ما سأنهاكم عنه دون أن تؤلمكم قلوبكم. ستسمعون وصيتي أن من ضرب أو شتم أباه أو أمه يقتل قتلا، وستضربونهم وستشتمونهم، سأقول نفساً بنفس، وعينا بعين، وسنا بسن، ويدًا بيد، ورجلا برجل، وكيا بكي، وجرحا بجرح، ورضًّا برضا، لكن هذا سيسيل كحفنة ماء في صحراء ظامئة، وكأني أنا الرب لم أقله.

سيبطئ موسى في نزوله، وستجتمعون لتصنعوا إلها يقود خطاكم، ستقولون: هذا الرجل الذي أصعدنا من مصر لا نعلم ما أصابه، وستصنعون عجلاً يشبه إله المصريين "أبيس" من أقراطكم وأساوركم، التي كانت للمصريين قبل أن تخرجوا، سأقول لموسى: اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم وأخلق لك شعباً عظيماً، سيتضرع أمامي كي لا يقول المصريون إني أخرجتكم لأقتلكم في الجبال، وسأستجيب لموسى كي تعرفوا رحمتي، ولن تعرفوا مع ذلك، لأن موسى سيكسر ألواحي، سيحمى غضبه هو عليكم، بدلا من غضبي، وحسنا سيفعل إذ يمكنكم احتمال غضبه، أما غضبي...!!!

سآخذ موسى إلى سماواتي، وسأبعث لكم عشرين ألف رسول وستقتلونهم، وتموت رسائلي معهم، لن يكون قمحكم قمحاً، ولا قطعانكم قطعاناً، ولا صلاتكم صلاة، أنا الرب الإله، الرحيم الرؤوف بطيء الغضب كثير الإحسان، غافر الإثم والمعصية، ولا أبرّئ آثماً من إثمه إذا عاد إليه، لكنكم ستخسرون تابوتكم، وبشاراتكم، ستستنفدون خزائن رحمتي التي رصدتُها لكم، سيصيبكم التيه، ستأكلون لحمكم حياً، ستكذبون على لساني أمام عيني، ولن يعرف آخركم ما فعل أولكم.

شاعر فلسطيني يعيش في رام الله

التعلّم في الدرجة الأولى هو ما قاد ويقود الفنّان التشكيلي البصري الفلسطيني خالد الحوراني إلى هذا العالم ولا يزال. فعبره يمكنه ملاحظة كثير من تفاصيل الحياة والوجود، كما أنّ ممارسة الفن هي طريقته في التعلّم، كونه يرى في الفن بوابة للمشاركة التي توفّر حالة مؤانسة، علاوة على كونه فعلاً تشاركيًّا لقلق الفنّان وهمومه ووجهة نظره في الحياة.

يوسف الشايب

خالد الحوراني.. حكاياتٌ عن الفنِّ الفلسطيني

الحوراني، وخلال استضافته "مبدعًا في حضرة درويش" في متحف محمود درويش بمدينة رام الله، مساء 21 آب الماضي، أشار إلى أن الفنّ "وسيلة لنرى الحياة بطريقة أخرى، غير تلك التي تقترحها الظروف وموازين القوى... وسيلة تتيح المجال رحبًا للخيال، وللتحايل على الواقع الذي نعيشه، كما أنّه عملية حوارٍ أيضًا، وليس مقولة من طرف واحد".

وشدّد: أعتمد هذه الاستراتيجية كمتكأ لي في ممارسة أعمالي الفنيّة، وأحمد اللهَ أنّني في بعض الأحيان قد أوفّق في خلق عالمٍ موازٍ، أو اقتراح جمالي أشعر بسعادة غامرة حين يصل إلى الجمهور، ويجد أصداءً لديهم تجاهه، فمعظم أعمالي الفنيّة ناتجة عن قصص أو تعليق أو نقدٍ ما لشيءٍ ما، فخبر صغير أو كبير قد يختمر في داخلي فكرة... بالفعل أنا أطوّر أفكاري بحواري مع الآخرين، بل إنّني أفضّل أن أنتمي للجيل الجديد، لأنني فخور جدًا بجيل الشباب من الفنانين البصريّين الفلسطينيّين، أكثر من افتخاري بالجيل أو الأجيال التي سبقته، لكوني أتعلّم منهم الكثير، وعلينا الاعتراف كم نتعلّم من أبنائنا الآن... الحقيقة أنّني أتعلم من الجيلين، الشباب والروّاد، وهذه فرصة مهمة للمزج ما بين عنصري الخبرة والعصرنة.

وما يعجب الحوراني في الجيل الجديد عمومًا، والفنانين منهم على وجه الخصوص، "أنهم يفكرون بطريقة حرّة، وينتمون لروح العصر الذي يعيشونه، مع أن جيلنا جيل مبدع، خاصة أننّا ولدنا لآباء يعانون من سياسات الاحتلال، فكان منهم المطاردون، والأسرى في الزنازين، ومن يعانون في الاقتحامات... لا أقول أننا تربّينا أو ورثنا الهزائم، فقد كان هنالك عدد من الثورات والانتفاضات، لكنّي أرى أن ثقة جيل اليوم بنفسه أكبر من تلك التي كنّا نملكها، بل إنه صبور تجاهنا، ويراعي مشاعرنا، لذا أتمنى لو أن الحياة الفلسطينية عمومًا تُدار أو تُحكم من قبل جيل الشباب، وليس كبار السن، ليس بسبب أفكار أو أيديولوجيات أو سياسات كبار السن، لكن لكون الجيل الجديد يمتلك من القدرات ما يستوجب علينا الإيمان بها، والتعلّم منها، وأعتقد أن المؤسسات التي يديرها الشباب تحقق نجاحات أكبر".

واستذكر الحوراني: في الانتفاضة الأولى، أعتقلتُ في سجن النقب لثلاثة أشهر. أنا ممنون للحياة أن أتاحت لي أن أعيش هذه التجربة، بقصصها، وأن أعرف هذا الجانب من حياتنا كفلسطينيين، وأتعلم منه، ولكوني رسّامًا كنتُ أرسم الأسرى بالحبر على القمصان، وأتذكر أنني رسمت ثمانية وعشرين ممّن كانوا رفقتي في سجن "كتسيعوت" في النقب، واللافت أن كل قميص (تي شيرت) أرسم بورتريهًا لصاحبه عليه لا يرتديه ولا يغسله، ويتحوّل إلى عمل فنّي، وكنّا داخل المعتقل ننظم مسرحيّات، وأمسيات شعريّة، ومعارض، فاقترح أحد الأسرى، واسمه "سليم"، تنظيم معرض من القمصان/ اللوحات، وبالفعل قمنا بتعليقها داخل واحدة من الخيام في المعتقل الذي كان عبارة، وقتذاك، عن مجموعة خيام في الصحراء، فاستنفر جيش الاحتلال، وطالبنا برفع الستائر، وأطلقوا ما يشبه صفّارات الإنذار، وحين اقتحموا الخيمة، أنزلوا بعض القمصان المعلقة، وأدركوا أن لا شيء تحريضيًا فيها، وغادروه بعد أن أصدروا قرارًا بعدم استكمال المعرض، باعتبار أننا معتقلون لا يحق لنا تنظيم معارض، وكان ذلك غضبًا من كثافة الحضور الذي فاق المئتين وخمسين أسيرًا، ولم يتمكنوا جميعهم من مشاهدته.

وتابع: اعتقدت أن المعرض توقّف هنا، لكن أحد الأسرى من صغار السن قدّم مقترحًا غاية في الذكاء، وهو أن يرتدي ثمانية وعشرون أسيرًا القمصان، ويصبح المسرح متحركًا ومتجسّدًا، على أن يبقى هؤلاء داخل الخيمة نفسها، فكانت لوحات من لحم ودم، بل وتتنفس أيضًا، واعتبره معرضًا خاصًا، جاء من فكرة خلّاقة ومدهشة لأسير من اليافعين، فمن قدّم الفكرة فنّان بفكره، وهذا ما يميّز جيل الشباب.

وعن الانتشار عامة، وخاصة بين جيل الشباب، أجاب حوراني على مُحاورته الإعلاميَّة رولا سرحان: ممنون لاستقبال الناس للأعمال الفنيّة، سواء أعمالي، أو أعمال الفنانين الفلسطينيين الآخرين، خاصة، أنني، وطوال انهماكي في الفنون التشكيلية والبصرية، لطالما كان يرافقني الإحساس بأنَّ هذا النوع من الفنون ليس جماهيريًّا، كما هي حال الغناء، أو التمثيل، أو حتى الشعر في المدوّنة العربيّة، والذي يحظى بحصة كبيرة تاريخيًا في الثقافة العربيّة وتكوينها، فأنا أشعر أن الفنون البصريّة في منطقة لا تحظى بذات حظوظ الفنون والإبداعات الأخرى، وكنتُ أشفق على نفسي وعلى الفنّانين، ومن بينهم من هم كبار وعمالقة، أعتز في الاستناد في تجاربي الفنيّة إلى تجاربهم، وإلى أنني أتعلّم منهم، وأعشق أعمالهم... أنا في حالة قلق دائم، خاصة عندما أفكر في انتزاع أعمالي الفنيّة لإعجاب

جيل الشباب، فهو ليس بالأمر السهل، لاعتقادي بأنه جيل لديه مزاياه واطلاعاته وثقافته ودرايته ووجهات نظره المستقلة والواعية، وهو جيل متسامح أيضًا، ويتقبّل أكثر من غيره فكرة الاختلاف... حين دَرَست في أكاديمية الفنون برام الله، كانت فرصة غاية في الأهمية بالنسبة لي لأتعلّم من جيل كان حينها لا يزال شابًا من الفنانين... أعتقد أن جيل الشباب لا يقدّم فنونًا بصريّة وتشكيليّة أفضل، بل هذا ينسحب على صنوف ومجالات الإبداع كافة، وهو يفعل ذلك بالتأكيد.

وتحدّث الحوراني عن عددٍ من أعماله التي شكلت محطات مهمة في مسيرته، وحضورًا بارزًا محليًّا وعربيًّا وعالميًا، كما تطرق إلى تلك الحالة من التمازج ما بين الفنّي والسياسي، متمثلة بعمله الفني "البطيخة"، ليقول: في عام 2007 كنت جزءًا من مشروع "أطلس فلسطين"، وكان بالتعاون مع مؤسسة فنيّة هولنديّة، والفكرة إعادة اختراع قاموسنا، كما غيرنا من الشعوب، من وجهة نظر فنيّة، أو كيف تعيد البلد اختراع قاموسها من وجهة نظر فنّانيها، وشاركت فيه مجموعة كبيرة من الفنّانات والفنّانين، وحين فكّرنا في العلم، كنتُ سمعت قصة من الفنانين عصام بدر، وسليمان منصور، ونبيل عناني، حين أبلغهم ضابط في الإدارة المدنية للاحتلال، عندما بدأوا بتشكيل رابطة للتشكيليين الفلسطينيين، سبعينيات القرن الماضي، بالكثير الكثير من الممنوعات، ومن بينها منع رسم العلم الفلسطيني، بل ومنع رسم البطيخة لكونها تحوي ألوان العلم... حين أبلغوني الحكاية استعرت البطيخة من الخيال المريض للضابط الإسرائيلي، وقدّمت العلم بهذه الطريقة نكاية به، ورسم البطيخ ليس ابتكارًا، فهي فاكهة جميلة رسمت كثيرًا، ومنذ مئات السنين، لكنّي اقترحتها في الأطلس كعلم، ومن ثم رسمتها على جدران عدد من المتاحف العالميّة في تولوز، وغلاسكو، وسنغافورة، والأردن، وغيرها، بحجم كبير جدًا، وأتركها هناك، ومع هبّة حي الشيخ جرّاح في القدس أعيد الاعتبار إليها، للتحايل على منع قوات الاحتلال لرفع العلم الفلسطيني، فانتشرت الرسمة مُجددًا كنوع من التحايل على الاحتلال، بل إنه، وفي المظاهرات الاحتجاجية داخل إسرائيل، باتوا يستخدمونها كترميز للعلم الفلسطيني... "هنا تكمن مهمة الفن، أن نخترع شيئًا مختلفًا لا يمكن حصاره أو تقييده".

ولفت الحوراني إلى أهمية دور الفن في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها الفلسطينيون، ليس فقط بسبب غياب الأفق على صعوبته، ولكن بسبب السياسات العنصريّة للاحتلال الذي يعمل جاهدًا "على انتزاع انسانيّتنا"، لذا علينا اقتراح بدائل ترفض هذا الواقع، أو ما يمكن أن يصبح واقعًا في وقت قريب، وهنا يأتي دور الفن في تقديم المختلف غير القابل للحصار، وهو ما يجب أن ينسحب على السياسة أيضًا، فنحن "بشر مثل غيرنا نستحق حياة كريمة، ولسنا في حاجة إلى أن نثبت ذلك لأي كان... الحياة صعبة، خاصة في ظل واقع الاحتلال الأكثر تطرفًا، لكن الفن يبعث على الأمل، أو المتاح من الأمل على أقل تقدير".

ولم يغفل الحوراني في حديثه عن تجاربه الفنيّة المُغايرة، المتميّزة والمتمايزة، التطرّق إلى مشروعه الفنّي "بيكاسو في فلسطين"، كاشفًا أنه عام 2009 بدأ بالعمل على نقل لوحة لبيكاسو من هولندا لتعرض في فلسطين، بحيث تكون شاهدة على المعاناة الفلسطينية، تعبر الحواجز العسكرية الإسرائيلية، وترافق الجدار على طول الطريق، وأمام أعين أبرز وسائل الإعلام العالمية، التي كنت على قناعة بأنها سترافقها في رحلتها الغريبة بالنسبة للكثيرين، وفي خضم العمل على الأمر الذي تمّ في نهاية المطاف عام 2011، طُرحت عديد الأسئلة المتعلقة بما إذا كانت المتاحف تتعاطى مع فلسطين كدولة، وأخرى تتعلق بالنقل والشحن وبوالص التأمين، فالموضوع لم يكن بيكاسو، بقدر ما كان طريق لوحته إلى فلسطين، أو رحلة لوحة "بورتريه امرأة" لبيكاسو من آيندهوفن إلى رام الله بمبنى الأكاديمية الدولية للفنون، لمدة شهر، وتحت حراسة الشرطة الفلسطينية ليلًا نهارًا تبعًا لشروط شحن اللوحة إلى فلسطين، وبات الحرّاس جزءًا دائمًا من المشهد، قبل أن تعود إلى هولندا مرّة أخرى، واهتم بمشاهدتها قرابة سبعة آلاف فلسطيني من كافة المناطق، وهو ما عده انجازًا يضاف إلى الاهتمام الإعلامي العالمي الكبير بهذه الرحلة، والذي سلّط الضوء على الواقع الفلسطيني تحت الاحتلال خلال توثيقه لرحلة لوحة بيكاسو.

قصائد من تحت الأنقاض

لأننا لم نمت

مايا ابو الحيات

لقد انتشلنا أطفالنا من أسفل العمارات
وحاولنا تركيب رؤوسهم لتصبح الجثث كاملة.
الرماد في عيوننا لا يجعلنا نرى ما ترون.
لقد جفف أجدادنا دموعهم بخصلات مشاعرنا وهم يجرفون طين المخيمات عن أحذيتنا
القيود في أعناقنا لا تجعلنا نشعر بما تشعرون.
لقد غطتنا أمهاتنا بالأعلام والحرامات الثقيلة كي تحمينا من برد القبور والقوارب المهاجرة.
الدماء الناشفة في عروقنا لا تجعلنا نسمع ما تسمعون.
لقد أحطنا قلوبنا بقسوة الأسمنت لتتحمل وجع الفقد والدم وشظايا القنابل.
الحفر في أرواحنا لا تجعلنا نعلم ما تعلمون.
نحن لا نفرح لأنكم تموتون
نحن نفرح لأننا هذا اليوم لم نمت.

فكرة لا تُحتَمل

فارس سباعنة

كم هاوية على الغزالةِ أن تجرّب
كيّ تسير بدَايَتَيْنِ بلا سُقُوطِ
أو ترى عن مقربة!
كم شهيداً في الصحيفةِ في انتظار التجربَة ؟
هزّي إليكِ بما تبقى
فوق نخلتنا الفقيرة من أمَلْ
بدولةٍ تحنو علينا ...
إنَّ نبتنا كالفواصل بين أشباهِ الجُمَلْ
أنقذي الأيدي التي انتشرتْ حدوداً حول جيدكْ
واقرئي حرفاً محاهُ الحزنُ يعوي في بريدكْ
أنقذينا مرةً ...
من كثرةِ الموتِ المُحاصَرِ بـ"الدُّوَل".
أرشدينا أينَ نذهبُ ؟
.. أخبرينا ما العَمَلْ ؟!
ونحنُ كثرةً ما احتملنا الموتَ صرنا فكرةً لا تُحتَمَلْ.

أعزلُ في عزلة

عثمان حسين

أعزل و في عزلةٍ،
أطل من نافذتي على بقاياي، أرى مَن يدفنون رؤوسهم في رمالٍ تتحركُ، رافعين مؤخراتهم شاراتِ نصرٍ مقلوبة، أراهم زرافاتٍ زرافات.
وفي عزلتي يكْذبُ المنجمون دائماً، أو يجهلون غايتي، لذا، أفاجئ العزلة أحياناً، فأترجل خارج كهفي، أركل علبة كولا فارغة عدة أمتار إلى الأمام، وأواصل الطريق الى ساحة الجندي المجهول، كي أحتار وأرتبك أمام خليط العابرين الذين تجمعهم عيونهم المطفأة، وتفرقهم خصوماتٌ، وقصائد جائعة، لا شِعْر فيها ولا كلام يشبع جائعاً ملقى، لا يرى إلا أحذية بالية وسيقاناً أنهكها المسير.
أنسابُ في الزحام كأفعى، معتقداً أنني لا مرئي، وأنَّ عزلتي تغلّفني.
فاجأتها وترجلتُ خارج كهفها، حاملاً حلماً يتشكل في كل حين، يصطدم في رؤوس الناس، تتكسر الرؤوس، وتتوزع أشلاء الحلم أفكاراً وحكاياتِ موتٍ، ليلاً وكوابيسَ، وسحاباتٍ جوفاء تتجول مثلي.

شاعر من غزة

شهاداتُ شهودٍ وشهداء

اليوم الخامس للفجيعة

ناصر رباح

بعد فجر السبت بساعة استيقظنا على صوت إطلاق صواريخنا، نحن نعرف الفرق تماماً بين صوت صواريخنا المنطلقة نحو الشرق وبين صوت ضربات الهاون والتي لن تتجاوز كيلومترات معدودة، صوت الصواريخ يشبه إلى حد ما صوت جر سريع للوح من الصاج على أرض أسفلتية، وبالطبع نفرق بين صوت الرشاش العادي وصوت طلقات مضادات الطائرات، والجديد الذي صرنا نميزه حديثاً هو صوت الصاروخ التحذيري. صوت حاد ناعم سريع كأنه يثقب الأذن، لايرج الهواء، ترسله طائرة ال F16 لتنبيه السكان بأن هذا المبنى تحديداً يجب اخلاؤه، تمهيداً للصاروخ الآخر والذي سيتم إرساله بعد أقل من ربع ساعة، هذا سيكون صوته أكثر سماكة، بطيء وهادر والذي سيعقبه أيضاً صوت أكثر كثافة، متراخٍ بشكلٍ يائسٍ يهز الأرض المحيطة به، كما أنَّ البيوت المجاورة ستهتز معه كشجرٍ، وتعلو المكان سحابة من الغبار الأسود، هو صوت انهيار المنزل المنذور.

استيقظنا، الأولاد تناثروا خارج أسرّتهم باتجاه مخرج البيت بعيداً عن النوافذ، قلنا: رشقة صواريخ. وبدأنا في العد. كنا غالباً ما نصل إلى رقم ما بين العشرة والعشرين في المرات السابقة، الحروب السابقة والتي ستصل إلى رقم ستة بعد قليل، هذه المرة تجاوز العدد أربعين وأكثر. قال الابن الجامعي وهو يتنهد: وهكذا انتهى العام الدراسي. يبدو أنَّ القصة كبيرة.

بعد ساعة، اتضحت الأمور أكثر، توغل لعسكريين من أولادنا عبر السلك الحدودي، ذلك السلك الذي تصرخ فيه صافرات الانتباه لو حط عصفور عليه، الآن جميعنا في مدخل البناية، بيت الدرج البعيد عن النوافذ والقريب من الشارع، بدأ صوت الطائرات والقذائف ينهمر، نسمعها بوضوحٍ قريبٍ جداً، عائلتي وعائلة أخي في بيت الدرج، النساء بملابس ضافية وحجابات، الرجال والأولاد بما تيسر، جوارنا زجاجات الماء، الوثائق وجوازات السفر وشهادات الميلاد والأوراق المهمَّة في حقيبة قرب الباب، احتمالات قصف البيت واردة، احتمالات الخروج من البيت أكثر وضوحاً، الجيران يتصايحون لإخلاء البيوت، نحن قريبون من السلك الحدودي بمسافة كيلو متر واحد، حاسة السمع منتبهة بشكل متوتر، تتداخل الأصوات بحيث لا يمكن لخبراتنا السابقة من تمييز أي شيء سوى جسامة الأمر. الصواريخ والطائرات، الهاونات والقذائف، القلق والخوف على وجوه الجميع، نحاول التماسك قبل أنْ يقرع باب البيت بشكل ملح. ثلاثة رجال بثياب عسكريَّة وأسلحة ودراجة نارية اندفعوا لينضموا إلينا، أحدهم مصابٌ بطلقٍ ناري، الدماء تنزف منه وهو يتلوى، أحدهم يربط رباطاً على الجرح، والآخر يبدل ثيابه بأخرى مدنية، دقائق وغادروا، تركوا معداتهم لدينا وغادروا، نسيت أنْ أخبركم عن صوت الزنانات "الدرونز" التي تقصف المسلحين في مثل هكذا ظروف. صوت طنين نحلة هائلة، غادروا مدنيين فقط. الآن البيت أكثر تهديداً لدينا أسلحة، وربما قنابل، وربما تمت متابعة هؤلاء من قبل الزنانات. نعم نحن في خطر حقيقي وكبير، نحن منزل مستهدف الآن. تناسبنا كل هذا، وبدأت معركتنا الخاصة: لا كهرباء ولا ماء والانترنت يترنح. المخابز مكتظة بالطوابير، المواد الغذائية تنفد و... و... وماذا سنفعل بالأسلحة المخبأة؟

يتصل خالد الناصري: ناصر كيف حالك؟ أكتب شهادتك عمَّا يحدث؟ صحيفة عراقيَّة ستخصص ملفاً خاصاً بالموضوع. أمجنونٌ أنت يا رجل! بل من هو المجنون الذي سيطاوعك ويكتب.

شاعر من غزة

كسبتْ روحي الرهان

جواد العقاد

لا أحملُ في جعبةِ قلبي غيرَ الكلمات، ولا ذخيرة لديَّ غير الوجع الممتدِ من عيونِ أمٍّ مفجوعةٍ على ولدها إلى صرخةِ طفلةٍ تُدَوِّي في صعودها إلى الله.

في كلِّ جولةٍ من جولات الحرب أفردُ روحي على الطاولة لأقامرَ الحرب.. وفي نيتي طرحَ أسئلةٍ وجوديةٍ عليها:

هل شحذتِ حقدكِ جيداً؟

لا تجيب، وتقتل.

من أنتِ أيتها الحرب؟

أنا الدمُ، وحصادُ الألم.

أنا الانتظارُ والخوف والمواعيدُ المؤجلة، امتحان الإنسانية في محاكم بلا عدالة..

كلما شعرتُ بفارةٍ، أمسكتُ قلمي وأكتبها..

أصنع صورةً شعريةً لها: دمٌ يفيضُ نحو السماء وسوادٌ يقتحمُ الأرضَ.. بياضٌ كثيفٌ تُفتَّحُ له السماءُ أبوابها.

يُخيَّلُ لي أنَّ الكتابة تردُ الموت.. حين أكتبُ، أشعرُ كأنني احتضنت أطفالَ غزة كلهم.

مرة أخرى أيتها الحربُ.. كسبتُ روحي الرهانَ إلا أنها ما زالت تنزف، تنزفُ، تنزف. نوافذها مفتوحةٌ كي تَخرُجَ نارُكِ.. فلا تعودي.

شاعر فلسطيني يعيش في غزة

لم أتمكن من توديع شقتي

توفيق ابو شومر

أعتذر لم أتمكن من توديع شقتي.

أعتذر لمكتبتي المشحونة بذكريات السنوات، لأن قائد طائرة الأباتشي منحني إنذاراً معدوداً بالدقائق لكي أنجو بنفسي قبل أن يصدروا الحكم على شقتي الصغيرة بالإعدام! أعتذر لشقتي التي أشرفت على بناء كل حجرٍ من أحجارها.

لم أكن يوماً أتوقع أنْ تغتال مني قنبلةُ الحقد ذكرياتِ اختيار غرفة نومي التي اشتريتها بالتقسيط المُريح، وتغتال مني سعادتي عندما انتهيت من تسديد آخر قسطٍ من أقساطها، شعرتُ بالأسى لأنني لم أودعها الوداع الأخير!

وددتُ أنْ أقف في وسط قاعة الجلوس المكتنزة بالحكايا والذكريات لأرفع يدي اليمنى سلاماً وتحية لمخزونها من الذكريات، كيف أستعيد نكهة كوبي الخزفي الخاص المشبع برائحة قهوتي التي أعدها بنفسي؟! صديقي الملازم لمقالاتي وخطط كتبي.

لم أكن أعلم أنَّ اغتيال شقتي وشقة ابني وابنتي سيعيد إليَّ ذكرى مهدي الأول المغصوب من المحتلين الإسرائيليين، نعم أصبحت اليوم أكثر قرباً من مهد ولادتي الأول! سأظلَّ أردد ما قاله الشاعر المبدع، بابلو نيرودا: "اقطعوا كل الورود، واقتلوا كل العصافير، لكنكم لن تمنعوا حلول الربيع".

الصباح الثقافي

قيامة سَدوم

يوسف عبد العزيز

ليكن أعمى،
ومنهوباً وأعزلْ
سيّدَ الرّيحِ المبجّل!

وليكن صدراً لهذا المطرِ
اليابسِ
بوقاً لعزيف الجِنّ
صقراً يخطف القلب ويرحلْ

ولْيَكُن....
أسرجتْ هذا الزّمهريرْ
في مرايا الدّمع والطّينِ
وأحرقتْ جناحي كي أطيرْ
زهرةً سوداءَ
في هذا الفضاءِ
الماثلِ المكسورِ

يا قلبي تحمّلْ
وِزرَ هذا الطّينِ
آثامَ يديه الطّفلتينْ
وتحمّلْ
قطرةَ النّار التي تلمعُ
في سرّتِهِ
ثمّ تهوي في سديم الشّفتينْ

كانَ يا ما كانَ لي
قلبٌ من الغيمِ
وعكّازُ هواءْ
وحبيبٌ بينَ بينْ

كان لي كلَّ مساء
غابةٌ مرتبكة
تتعرّى في سريري
وتصبّ الشّبق الأخضر
في الرّأس
وتمضي تاركة
سيفَ ليمونٍ على صدري
وتيجانَ قرنفلْ

كانت الحيطانُ في منحدر العشبِ
مرايا تتأمّلْ

كنت ظبياً طافحاً بالنّار والشّهوةِ
أختال بأقراطٍ من السّوسنِ

في درب المجرّاتِ
وأرعى قبّةَ الفيروزِ
كان الأفق سرجاً
سابحاً في الفلواتِ
كان سِفْراً لي
وكانت كلماتي
حبقاً أخضرَ يتساقط من كَمّ الغيومِ

افتحي عينيكِ يا أرملةَ الرّبِّ
وقومي
لنرى زوبعةَ النّيرانِ
في ليل سَدومِ

صاح قرنُ الكبشِ،
قرنُ الماعزِ المنسيّ

فانهارت بلاد كنت أبنيها
وصبّ المعدن الهاذي
على مفرقها العذبِ
سُخامَهْ
صحتْ هل هذي هيَ الحرب التي
حضّرها القاتلْ
أم هذي علامات القيامة!!

افتحي عينيكِ يا أرملةَ الرّبِّ
وقومي
لنرى مذبحة الإنسانِ
في ليل سَدومِ

وصلوا مثل جرادٍ هائجٍ:
زُمرةُ سفّاحينَ

قوّادونَ
قُطّاعُ طريقٍ
ولصوصٌ
أسرجوا معدنهم من مغرب الشّمسِ
ودقّوا
جسد الأرض بأظلافٍ من الفولاذِ
مدّوا المحرقة
وأهالوا الشّمس فيها
قطعوا نهدَ السّماء العاشقة
سحبوا منّي بلادي،
ذبحوا قلبي على ركبتها
واستبدلوا فردوسيَ العالي
بصلصالِ الجحيمِ.

لم يعدْ لي غيرُ قلبٍ خَرِبٍ
ترتعُ في أنقاضِهِ الضّبُعْ
وشبرٍ من ترابٍ
فيه أجترّ الغضبْ
لم يعد لي غير هذي العتمةِ
السّوداءِ
في الرّأسِ
وهذا الدّمْ مسفوحاً
على ناصية الشّرقِ
أشاحَ العالمُ الغافلُ عن قتلايَ
حين انفتحَ الأخدودُ
وامتدَّ اللهبْ

افتحي عينيكِ يا أرملة الرّبِّ
وقومي
لنرى معجزة الآتين
من ليل سدومِ

لتكن قبضَ هباءٍ
حجراً يرفلُ بالقارِ وتيجانِ
الغبارِ
لتكن كبشاً ذبيحاً
جنّةً مشرعةً للدّود والغربانِ
إن لم تترجّلْ
أيّها النّسرُ المكبّلْ

صاح جلجامشُ من عزلتِهِ
فاضطربَ الكونُ
كنسرٍ هائلٍ
والتمع البرق على
وجه القفارِ

قال الشهيد.. قالت غزة

عمر ابو الهيجاء

ليلُ المدن طاعن بالسواد،
لا فضاء في لغة المسافة يكتمل،
هنا عبروا الأرض،
ذبحوا الذاهبين إلى الشمس،
وكل المناديل في أكف الصبايا تشتعل،
ولم... يرحلوا،
وأنا خلف أصواتهم أنتظر،
كانت السهول أمام وهج الدمع تغتسل،
ودمي يحملني لنشيد شجري في الطرقات،
وكل المنازل بدمي تكتحل،
أنا ابن دمي،
بدء الطلقات،
أول الداخلين الى الحلم،
وحلمي بموجي يحتفل.

قالت غزة:
قمصان جسدي ملوثة،
ممزقة، ورائحة البارود في الشوارع صاحية،
وأنت تعد نشيدك، وخطى الدرب،
تمضي بين يديك الكفن،
لا تؤجل صلاتك في بوابة العشق،
مروا جميعهم على جرحك،
وغابت عنك المدن،
لا لم تعد بنادق أخوتك صالحة،
بنادقهم أصابها العفن.

قال الشهيد:

أنا رقصة البحر،
نشيد طفل في مدرسة الريح،
حجارة أهل الضفة،
أصوات فلسطين حين تغني،
وحين تعزف لحن العاصفة،
أنا جرس اللحظة،
موسيقى الطلقة،
والقصيدة الواثقة،
تموت الأمنيات في الدواوين،
الشهداء وحدهم لاينامون،
صورة الفجر في أعينهم ناطقة،
هزي يا غزة أغصان المدائن،
تساقط أوراقهم في ساحات الوغى ناشفة،
ما كان من صوت دمي،
سوى شمس معلقة من جديلتها
وهذي الخيول الصاهلة.

قالت غزة:

إن عزَّ في الأجساد النبض،
خذني كي أحتطب الروح،
في ذاكرة الشوارع،
سطرا من الشعر في قاموس الرفض،
أنا سيدة البحر،
تفاصيل الهواء، أغنية الماء،
في خاصرة الوطن،
انفلات الناي،
أنا الأرض،
غير أني لم أنم على جرحي،
هنا فوق رصيف الموت صحوت،
وصحت على بعد شهيدين،
وأكملت النشيد،
هنا أنا.. وأنا هناك،
أقرأ تفاصيل من رحلوا،
ومن جاؤوا بفن القتل،
أنا مهرة الشهيد ودفتره الناري،
أنا العرس.. أنا أنا الثورة،
هنا قرب البحر، مددت صدري جسرا،
لتعبر هذا الزمن،
يـا ولـدي كل البـلاد تفقـو على دمك،
وأنت وحدك تمضي،
راسماً شكل الحياة.

قـال الشهيد:
رأيـت الريـح
تمضـي محملة
بالريح،
رأيت الزيتون عاريا،
رأيت خيمة الوقت ممزقة،
وزناد البنادق مكسرة،
رأيتها في الأيدي تصيح،
أنا نجم الليل، أجمع بقاياي في أتون الحرب،
أمضي من موت إلى موت،
معي، دمي، وحكاية امرأة
لفت حول خصرها شوك الدرب،
يا غزة.. ها دمنا في المتاريس يصرخ،
والطائرات تلهو بنا،
جرحنا، لغتنا، وشمنا الصعب،

قالت غزة:

حنانيك وأنت تمضي الى آخر الرصاص،
حنانيك وأنت في خيبة السكوت تقرع الأجراس،
جميعهم مرّوا على جرحنا، أشعلوا الشمع،
وأقاموا لنا الأقواس،
حنانيك يا ابن الرقص المجنح،
هاك ما تبقى من نبض في العروق،
أطلق خيلك في المواسم الجفاف،
غنِّ ما شئت من سورة الموت،
أقم فينا رقصة الميجنا،
واشعل في الميتين لغة النار.

قال الشهيد:

حملتني الشهقات،
حملتني الطعنات،
إلى سجدة الروح في احتدام البارود،
وفوق حدود الموج،
احتشدت بوجهي،
حاصرت الإعصار،
قلـت: أهبـط نحـو الأرض،

وفي ذاكرة
الرمل ارتفع
بالخطو،
تماما كما الرعد،
وأعانق من لهفتي زرقة
البحر،
أمعن كثيرا في الإبحار،
هنا أنا،
أفتح القلب،
تمتد الشمس نحوي،
أتهجى كل اللغات،
وفـي لجـة الليـل
أشـرع كل الأسئلة
للنهار،

قالت غزة:
هـذي قناديـلي ديوك
تهتف،
وأنـا فـي أول الضوء
أقف،
عـن كتفـي يفـرُّ
الحمام،

راقصاً ويعصف،
ورائحة العشب تمضي لصلاة الحراب،
كلي مجبول بغيم المأساة،
وفوق ثريات الجسد،
يرقص فوضوياً هذا الخراب،
وأنا مثقلة أصغي لوصايا السيف،
أتعمد بحناء الجرح،
تعبرني أغبرة اللحظة،
أتكاثر مثل السنابل في بهجة الصيف.

قال الشهيد:
قل إنه الفسفور الأبيض يهوي،
يهوي على أفق الطفولة وهدأة المكان،
ينام الطيبون.. أحلامهم تسعى،
مزنرة بنجمتين وحصان،
أيهذا اللحم المتطاير على حافة الكلام،
ما ظل في الكف أصابع تشير،
العمر غدا غبار،
قل إنه الفسفور الأبيض يهوي،
تنهض البلاد من جلابيب الفراغ،
رمحا، أغنية، ما غفت أحرفها في شفاه الأرض،
لكنها راقصت القمح والسفح،
عانقت الإنسان،
قل إنه الفسفور الأبيض يهوي،
ولم أزل أصعد قامة الليل،
أسرد على ذاكرة الجرح،
ما علمني الإله سرَّ دمي،
شكل الصعود إلى برّية الشمس،

قالت غزة:

تيّبس السؤال في خواطر الماء،
تيّبس في ملامح الأمهات،
الآن، أنقش في زند الشاطئ فوضاي،
أباريق ناري،
أطلق عصافير السهل،
للداخلين حلم العشب،
غير أنَّ الموت كامن فينا،
كامنٌ في حلق الجهات.

قال الشهيد.. قالت غزة:
المـوت
معـراج
الحيـاة
الموت معراج الحياة.

لن ينتهي اسم فلسطين

الشاعر : موسى حوامدة

لم ينتهِ الكلامُ لأجدِّل
حبائلَ الصمت
وأمشطَ شعرَ اليقين
لم ينتهِ الوقتُ لأكسرَ ساعة
الزمن
أرمي بها في سلة الفراغ.
لم ينته العمرُ
لأضعَ رأسي عندَ مَقبرة
القنوط
وأربط جسدي بوتد الهزيمة.

لم تحترقْ روما
لأجلد نيرونَ بسوطِ الجنون.

لم ينته الكلامُ
لأغلقَ فمي بقماش الخيبة
أشطبَ اسم بلادي من
أطلس الجزيرة
وأدفعَ الجزية للعابرين.

سأربحُ الحربَ لأن الطينَ
بيتي
والبحرَ جاري
والنجومَ شقيقاتي الغافلات
والسماء ستدركُ فحوى
رسائلها.

لم ينته الكلام
من دفتر الحياة
من ألوان الصغار
وأحلام الجدات
ولن ينتهي اسم فلسطين.

لم ينته الكلام
لأقصَّ جديلة أمي
وخطواتها فوق تراب البلد
وآثار أجدادي
على حيطان البلد
وجبال البلد.

لم ينته الكلام
لأقرَّ للمحتلِّ أن الحكايةَ
وصلتْ لطريق مسدود
وأن المدينة ضاعت للأبد.

لن ينتهي الكلام
لأنشدَ الشعرَ في زَوَال الأبد
وفراغ يوم الأحد
من عطلته
وبدايةِ تاريخ السبت
في هيكلٍ أو معتقد.

لم يبتدئ الكلام
كلامي بعد
ليكتبَ المهزومُ في النهاية
أعذارَه.

سأكتبُ طالما ظلَّ في دفتر
الشعر حرفٌ واحدٌ
وظلَّ في خزانة الله مدد
وأصيح في آذان الدهور
والمجرات:
هذي البلاد بلادي
مذ خلق الله كونَه
وكان واحدًا أحدْ.

غزَّة

أحمد أبو سليم

لا تَغسِلوا أَمواتَكم بالماءِ
قد غسل الرَّصاصُ ذُنوبَهم
لا تُشعِلوا في ليلهم ناراً تدفِّئُ
بردَهم
فالشَّمس تشرقُ فوق غزَّة
كلَّ يومٍ........ مرَّتينْ

لا تَحفروا أَصواتكم فوق الشَّواهد
عارُكم.... هو عارُكم
والصَّمت أَبلغُ في المقابر
من مقامات الحنينْ

في الموت طفلٌ لم يَجِدْ
قَبراً يلُمُّ عظامهُ
رَجُلٌ يفَتِّشُ عَن مَلامِحِ وجهِه
بعضُ الثِّيابِ تقيَّأَتْ
جَسداً تعفَّرَ بالتُّرابِ
وَطِفلَةٌ
نَسي المؤذِنُ صوتَه.....
عند الولادَةِ في ثَنايا أُذْنِها
فتقافَزَتْ "الله أَكبر" مع بقايا
لحمِها
في الموتِ موتٌ لا يموتُ
كَأَنَّما
للمرءِ يولَدُ صاحبٌ
ظلٌّ قرينٌ واحدٌ
أَمَّا بغزَّة للقرينِ مُقاتلٌ
بَشَرٌ... ولكنْ في الحُروبِ
بأَلفِ أَلفِ مُقاتلٍ
نحنُ الأَوائلُ
لا نَموتُ
دِماؤنا.. نهرٌ يُهرولُ صاعداً...
مثلَ الصِّراطِ المستقيمْ
نحنُ اليقينْ

نحنُ الأَوائلُ
يوم كان الله يعجنُ
من ملامحِ كلِّ طين صورة
لسلالة...
من لحمنا
عُجنت بلادٌ سمِّيتْ:
"فلسطينْ"

أيها المارّون بين الكلماتِ العابرة
احملوا أسماءكم وانصرفوا
واسحبوا ساعاتكم من وقتنا، و انصرفوا
وخذوا ما شئتمُ من زرقة البحر ورمل الذاكرة
و خذوا ما شئتمُ من صورٍ، كي تعرفوا
أنكم لن تعرفوا
كيف يبني حجرٌ من أرضنا سقفَ السماءْ

أيها المارون بين الكلمات العابرة
منكمُ السيفُ ومنا دمنا
منكم الفولاذ والنارُ ومنا لحمُنا
منكم دبابةٌ أخرى ومنا حجرُ
منكم قنبلةُ الغاز ومنا المطرُ
وعلينا ما عليكمْ من سماءٍ وهواءْ
فخذوا حصتكم من دمنا وانصرفوا

وعلينا، نحن، أنْ نحرس وردَ الشهداءْ
و علينا، نحنُ، أنْ نحيا كما نحنُ نشاءْ

محمود درويش

الصباح الثقافي
رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين
ملحق اسبوعي 16 صفحة
www.alsabaah.iq
الأربعاء 18 تشرين الأول 2023 العدد Wed. 18 . Oct. 2023 Issue No. 5795